افتراءات النصارى
في ضوء القرآن الكريم

الدكتور: عبد العزيز اسماعيل صقر

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

(سورة يونس: آية ٦٨ - ٦٩)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى على فترة من الرسل، ليقيم برسالته دعائم الحق، ويجدد بدعوته ما اندثر من شرائع السابقين، ويبطل بذلك مزاعم أهل الكتاب، ويقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾(١)

صلى الله عليه، وعلى آله، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن عقل الإنسان لا يستقل بوضع حدود للأعمال تنتهي إليها نزعات الشهوات، ويقف عندها سير الأهواء والرغبات، بل لا بد من تشريع إلهي تذعن له الأنفس بمحض العبودية المطلقة لله تعالى، ومن هنا تداركت رحمة الله تعالى الإنسان، فلم يتركه إلى نفسه، ولم يكله إلى عقله، بل أرسل إليه من وقت لآخر رسلاً يهدونه إلى الحق ويرشدونه إلى الخير، حيث تقوم عليه الحجة وتنقطع المعذرة.

قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾(٢) .

ولكن كثيراً من الناس ضلوا الطريق وانحرفوا عن منهج الأنبياء والمرسلين ، وتقوّلوا على الله بغير علم ، افتراءً وكذباً ، مع أن الله قد أخذ عليهم العهد والميثاق أن لا يقولوا على الله إلا الحق ، وفي طليعة هؤلاء أهل الكتاب بصفة عامة والنصارى بصفة خاصة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾(٣) .

فالنصارى مثل اليهود في نقض العهود والمواثيق ، وإنما قال «ومن الذين قالوا إنا نصارى » ولم يقل ومن النصارى ، وذلك لأنهم إنما سموا أنفسهم بهذا الاسم ادعاءً لنصرة الله تعالى ، وهم الذين قالوا لعيسى : نحن أنصار الله ، فكان هذا الاسم في الحقيقة اسم مدح ، فبين الله تعالى أنهم يدعون هذه الصفة ، ولكنهم ليسوا موصوفين بها عند الله .

(وأخذ الميثاق) أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وقوله : (فأغرينا) ، أي ألصقنا العداوة والبغضاء بهم ، أي بين اليهود والنصارى ، أو بين فرق النصارى ، فإن بعضهم يكفر بعضاً إلى يوم القيامة .

فالمشركون واليهود والنصارى سواء في الافتراء على الله بغير علم : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾(٤) .

وقد بيّن القرآن الكريم كذبهم ، ورد على افتراءاتهم قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾(٥) .

وقد حاولت في هذا البحث أن أبين افتراءات النصارى في ضوء القرآن الكريم ، وأن أرد على مزاعمهم الباطلة ، وقد اخترت هذا العنوان لأنه ليس هناك على وجه الأرض كتاب أصدق من هذا الكتاب ، فهو الكتاب الحق الذي أنزله الله تعالى بالحق : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾(٦) .

وهو الكتاب الوحيد من بين سائر كتب الله تعالى الذي تكفل الله بحفظه ولم يصبه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتبديل ، وانقطاع السند ، وهو المصدق لما سبق والمهيمن عليه .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٧) .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : التوحيد الخالص دعوة جميع المرسلين .
الفصل الثاني : من لا يقدر على الخلق لا يصح أن يعبد .
الفصل الثالث : إعراض أهل الكتاب عن الحق وتحريفهم للكتب المنزلة .
الفصل الرابع : عبودية عيسى وإبطال التثليث .
الفصل الخامس : قضية قتل المسيح والرد على هذا الزعم الباطل .
الخاتمة .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفعنا به ، وأن يسدد على طريق الحق خطانا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الفصل الأول

التوحيد الخالص دعوة جميع المرسلين

إن المتتبع لمسيرة الركب الإيماني من لدن آدم إلى محمد عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، يجد أنهم جميعاً متفقون في الدعوة إلى التوحيد الخالص لله تعالى ، كما يجد التماسك القوي بين الشرائع السماوية ، والترابط الشديد بين رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، ولا غرابة في ذلك ، فالخالق للإنسان والكون كله وما فيه واحد ، والمرسل للرسل والأنبياء واحد لا شريك له ، وهو الله تعالى ، قال عزَّ وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٨) .

كما أن الهدف من ذلك واحد ، وهو إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة ، ومكافأة المؤمنين الصالحين . قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ (٤) ﴾(٩) .

وقد بيَّن الله تعالى أن الطريق إلى السعادة في الدنيا والآخرة واحد ، وهو عبادة الله وحده ، حيث ذكر الله تعالى أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته وطاعته ، وذلك صريح في قوله جل شأنه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨) ﴾(١٠) .

وقد أكد الله وحدة المنهج ، وأن الإنسان هو الإنسان من بدء خلقه إلى نهايته ، ومن مولده إلى مماته ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ (٩٢) ﴾(١١) .

أي إن ملة التوحيد والإسلام وهي دين جميع الأنبياء عليهم السلام دينكم الذي يجب أن تحافظوا على حدوده ، وتراعوا سائر حقوقه ، (أمة واحدة) ربنا واحد ، متفقاً

عليه من جميع الأنبياء ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم(١٢) .

وقال رسول الله : «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد»(١٣) . يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١٤) .

فملة الإسلام واحدة لا اختلاف فيها . من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ . فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين ، وإنما التغاير في الفروع ، فمن غير وبدل في الملة فهو خارج عنها ، ضال مضل . قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾(١٥) .

في هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى أول الرسل بعد آدم عليه السلام ، وهو نوح عليه السلام ، ثم ذكر آخرهم وهو محمد ﷺ ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم (إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) .

فالآية انتظمت ذكر الخمسة ، والدين الذي جاء به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، أي القدر المشترك بينهم هو التوحيد ، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ، وقوله **﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** .

أي أوصى الله جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ، ولكن المشركين الجاحدين والضالين المكذبين شق عليهم ذلك وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد الخالص لله تعالى ، مع وضوح الحجة ، وإقامة الدليل ، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد ، حقداً وحسداً ، مع أن الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء عليهم السلام في إقامة دين الله تعالى ، وإبلاغ رسالته ، والتناصر ، والاتفاق ، وتصديق بعضهم بعضاً في أصول الشرائع .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧)﴾(١٦) . أي عهداً موثقاً كما أخذ العهد على كل نبي أنْ يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء ، وينصره إن أدركه ، فإن لم يدركه يأمر قومه بنصرته ، إنْ أدركوه ، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإذا كان هذا حكم الأنبياء ، كانت الأمم بذلك أولى وأحرى .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾(١٧) .

فالتوحيد هو محور الرسالات الحقة كلها ، وهو أهم مبدأ دعا إليه المرسلون ، وقد أكد القرآن الكريم ذلك في أكثر من آية . قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾(١٨) .

وقال تعالى في سورة هود : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)﴾(١٩) .

وكما دعا نوح قومه إلى عبادة الله وتوحيده ، فقد دعا غيره من الأنبياء إلى هذا ، قال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾(٢٠) .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)﴾(٢١)

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)﴾(٢٢) .

وهذا إبراهيم عليه السلام يسخر من قومه ، وينكر عليهم عبادة الأصنام ، ويبين

لهم أن الله الذي خلق السماوات والأرض هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد ، لا تلك الآلهة المزعومة من التماثيل والأحجار : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (٥٧) ﴾(٢٣) .

ثم يسفه أحلامهم ويهزأ بهم وبمن عبدوهم من دون الله فيقول : كما ذكر القرآن الكريم : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾(٢٤) .

ثم يأمرهم بعبادة الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ﴾(٢٥) ، وهذا يونس عليه السلام إذ ذهب مغاضباً لقومه من أجل ربه ، لكفرهم أول أمرهم ، ثم تداركته رحمة الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾(٢٦) .

ثم يقول الله تعالى في سورة الصافات : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾(٢٧) .

وكانت إجابة موسى عليه السلام حين سئل عن ربه: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ﴾(٢٨) .

وإذا كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد دعوا إلى توحيد الله تعالى ونفي الشريك والولد عنه ، فقد دعا عيسى عليه السلام إلى التوحيد ، وتبرأ مما نسبه إليه النصارى زوراً وبهتاناً . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾(٢٩) .

ولكن النصارى انحرفوا عن عقيدة التوحيد ، فأثبتوا لله الشريك والولد . تعالى

الله عما يقولون علواً كبيراً . وسوف يفضحهم الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١١٨) ﴾(٣٠) .

وعقيدة التوحيد هذه هي التي وصى بها يعقوب بنيه من بعده . قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾(٣١) .

وكما دعا القرآن إلى التوحيد ، فقد نفى الشرك عن الله تعالى في كثير من الآيات ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ (٣٦) ﴾(٣٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾(٣٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (١١٦) ﴾(٣٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ (٢٦) ﴾(٣٥) .

وقد رد القرآن الكريم على مزاعم اليهود والنصارى الذين ادعوا أن إبراهيم كان يهودياً وأنه كان نصرانياً كما زعم النصارى . فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾(٣٦) .

وإذا كان القرآن الكريم قد دعا إلى التوحيد الخالص لله ، ونفي الشرك عنه ، فإن

الكتب السماوية الأخرى ، ومنها التوراة والإنجيل قد دعت إلى الوحدانية ، ونزهت الله عن الشريك والولد تنزيهاً قاطعاً ، وإلا لَمَا كانت هداية ونوراً كما أخبر القرآن عنها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) ﴾(٣٧) .

ولكن اليهود كعادتهم لم يراعوا حقوق الله ، بل أخلوا بها إخلالاً عظيماً ، إذ أنكروا بعثة الرسل ، وإنزال الكتب ، وطعنوا في رسالة محمد ﷺ عناداً وكفراً . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾(٣٨) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾(٣٩)

ثم بيَّن الله تعالى موقف عيسى عليه السلام بالنسبة للتوراة ، وأنه جاء مصدقاً لها مؤمناً بها ، حاكماً بما فيها . فيقول سبحانه : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾(٤٠) .

ولو التزم أهل الكتاب بالكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك إلى اتباع الحق ، والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً ﷺ . فإن كتبهم ناطقة بتصديقه ، والأمر باتباعه ، لا محالة . ولو فعلوا ذلك لغمرتهم بركا ت السماء والأرض ، ولعاشوا في سعادة وخير . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ

وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾(٤١) .

وإذ لم يفعلوا ذلك ، فقد خسروا كل شيء : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٤٢) . أي لستم على شيء من الدين حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من عند الله على الأنبياء ، وتعملوا بما فيها ، ومما فيها : الإيمان بمحمد ﷺ ، والأمر باتباعه ، والاقتداء بشريعته .

وعن مجاهد في قوله تعالى : **﴿وما أنزل إليكم من ربكم﴾** . يعني القرآن العظيم ، وبما أن أهل الكتاب قد حرفوا التوراة والإنجيل ، ولم يؤمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ، فقد كفروا بالله ، وكفروا كذلك بجميع المرسلين .

ولقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى كلمة عدل وإنصاف لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزلة ، وهي **﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾** .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٤٣) .

ولكن كثيراً من أهل الكتاب أعرضوا عن هذه الدعوة ، فاتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم ، كما نسبوا إليه الولد . قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٤٤) . فلا غرو أن حقت عليهم الضلالة ـ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾(٤٥) .

الفصل الثاني

من لا يقدر على الخلق لا يستحق أن يعبد

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم ، نجد الترابط الواضح بين الخلق وبين الأمر بالعبادة ، يستوي في ذلك خلق السماوات والأرض ، وخلق الإنسان ، ومن ذلك قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾(٤٦) .

ثم يؤكد ذلك في قوله بعد هذه الآية : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ (٤)﴾(٤٧) .

وما دام الرجوع إليه أمراً محققاً ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . من هنا كانت طاعته واجبة ، وعبادته لازمة ، بل هى الغاية من خلق الجن والإنس . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨)﴾(٤٨) .

فالله عز وجل لم يخلق الجن والإنس إلا مهيئين لعبادته بما ركب فيهم من العقول والحواس والقوى ، فهم على حالة صالحة للعبادة ، مستعدة لها ، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته ، آمن به وعبده وحده ، ومن عاند استعداده وفطرته واتبع هواه ، فقد سلك غير سبيل المؤمنين .

فالإنسان لم يخلق عبثاً ، ولم يترك دون تكليف وتشريع ينظم حياته إلى أن يبعث للجزاء والحساب ، قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧)﴾(٤٩) .

كما قال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾(٥٠) .

بلى إنه لقادر ، وإننا لنعجب أشد العجب من الذين يرون مظاهر قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض ، وما بثَّ فيهما من دابة ، وفي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وما ركب فيه من الحواس والعقل ، ثم ينصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ، ممن لا يخلق ولا يرزق ، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) ﴾(٥١) .

ثم يلفت الأنظار إلى تتبع أحوال الخلق لينظروا كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة ، وطبائع متغايرة ، وأخلاق شتى ، من مادة وغيرها ، ثم هو بعد ذلك ينشىء النشأة الآخرة بعد الموت ، وهو على كل شيء قدير . فيقول سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) ﴾(٥٢) .

ثم يحدثنا القرآن عن المادة التي خلق منها الإنسان الأول ، آدم عليه السلام ، مع بيان المادة التي خلق منها الجان ، ليظهر الفرق بينهما فى التكوين ، مع الفارق الزمني بينهما في الخلق ، فيقول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ (٢٧) ﴾(٥٣) .

ثم يبين كيفية خلق البشر من هذه النفس الواحدة ، وكيف تنوع الخلق للإنسان بعد ذلك ، للدلالة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، حيث خلق حواء من آدم ، ثم

خلق بقية البشر من آدم وحواء ، ثم بين أن هذا الخلق يتم في بطون الأمهات ، ويكون خلقاً من بعد خلق ، في ظلمات ثلاث ، فيقول : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ⑥ ﴾(٥٤) .

نفهم من هذا ، كيف خلق الله تعالى الإنسان بجميع صوره العقلية وهي :

١ - إنسان من غير أب وأم ، وهو آدم عليه السلام .

٢ - إنسان من أب فقط من غير أم ، وهو حواء .

٣ - إنسان من غير أب ، بل من أم فقط ، وهو عيسى عليه السلام .

٤ - إنسان من أب وأم وهم بقية البشر .

ثم يوجه الأمر إلى كل الناس أن يتقوا ربهم ويحذروا موجبات نقمته ، وأن يراعوا حقوق الأخوة فيما بينهم فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ① ﴾(٥٥) .

ثم يبين الله تعالى أن شأن عيسى عليه السلام بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم ، حيث خلقه من غير أبوين ، بل شأن آدم أعجب وأغرب ، حيث خلقه من تراب ، فمن آمن بقدرته تعالى في خلق آدم من تراب ، كيف لا يؤمن بها في خلقه عيسى من غير أب : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ㊾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ㊿ ﴾(٥٦) .

فكما سوى الله آدم وصوره بالصورة الإنسانية ، ثم نفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً ، كذلك الشأن بالنسبة لعيسى عليه السلام ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (٩١) ﴾(٥٧) .

وحين تعجبت مريم من بشارة جبريل عليه السلام لها بأن الله قد وهب لها غلاماً زكياً ، بين لها أن ذلك بالنسبة للقدرة الإلهية أمراً هيِّناً لا غرابة فيه: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ

وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾(٥٨) .

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢) ﴾(٥٩) .

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) ﴾(٦٠) .

وبعد هذا البيان الواضح لقدرة الله تعالى في خلق عيسى عليه السلام وإقراره بأنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، اختلف أهل الكتاب في أمره ، فقال فريق منهم : هو ابن الله ، وقال فريق : إنه هو الله ، وقال فريق ثالث : إنه ثالث ثلاثة ، ويقصدون بالثلاثة : الله ، وعيسى ، ومريم . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

قال تعالى : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) ﴾(٦١) .

وهذا تهديد ووعيد لكل من كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً ، ولكنه أنظرهم إلى يوم القيامة وأجلهم ، حلماً منه ، وثقة بقدرته عليهم ، فإنه الذي لا يعجل على من عصاه ، كما جاء في الصحيحين»(٦٢) .

«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذ لم يفلته» . . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾(٦٣) .

والقرآن الكريم يذكر الإنسان بتكريم الله له ، وتفضيله له على سائر المخلوقات . ثم يأمر الملائكة بالسجود له ، سجود تحية وتكريم ، لا سجود عبادة ، ليحقق بذلك معنى الخلافة ، وتلك نعمة تستحق الشكر والعرفان بالجميل ، ثم هو بعد ذلك ينسى كل هذا ويتجه إلى غير الله عز وجل : تارة بالعبادة ، ومرة باتخاذ الشركاء والأنداد ، مع أنه الخالق الرازق .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑩ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ⑪ ﴾(٦٤) .

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ ﴾(٦٥) .

مع أن العوالم كلها خاضعة له ، منقادة لأمره إلا الإنسان ، فإنه المخلوق الوحيد الذي شذ عن هذه القاعدة . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ⑱ ﴾(٦٦) .

مع أن الفريق المتمرد على الله تعالى ، الجاحد لنعمه ، منقاد لأحكامه إيجاداً وإعداماً ، شاء أو أبى ، خاضع لعظمته ، رضي أو سخط ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ⑮ ﴾(٦٧) .

فالمؤمن خاضع بذاته وبظاهره ، والكافر خاضع بذاته متمرد بظاهره . وتنقاد له تعالى ظلال من له منهم ظل ، فهي تحت قهره ومشيئته في الامتداد والتقلص ، والفيء والزوال ، إذ الحركة والسكون بيده تعالى ، والمتحرك والساكن في قبضته ، فالمراد من السجود : الخضوع والانقياد .

فشتان بين قدرة الخالق وقدرة المخلوقين جميعاً ، فالخلق جميعاً لا يقدرون على شيء ، فالله هو الخالق لكل شيء ، وغيره من الشركاء والأنداد لا يخلقون أدنى شيء .

﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ⑯ ﴾(٦٨) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾(٦٩) .

أي لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد والشركاء على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك ، فهم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصاف منه لو سلبهم شيئاً ، مع أن الذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها . فهؤلاء لم يعرفوا لله قدرة ، ولم يعظموه حق تعظيمه حين عبدوا معه غيره من العاجزين عن خلق الذباب على ضعفه وحقارته(٧٠) .

وَمَنْ يقدر على الخلق والإماتة غيرُ الله تعالى؟ ، فهو وحده القادر على كل شيء .

قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) ﴾(٧١) .

فهو سبحانه الخالق والمدبر للعالم على حسب إرادته وحكمته ، لا شريك له في ذلك . . . ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٧٢) . فالخلق : إيجاد الأشياء من العدم ، والأمر : التدبير والتصرف على حسب الإرادة لما خلقه .

وحين طلب النمرود بن كنعان ملك بابل ، من أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه . . فقال إبراهيم : **﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾** أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة ، لأنها لم تحدث بنفسها ، فلا بد لها من موجد أوجدها ، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له . فعند ذلك قال النمرود عناداً ومكابرة : **﴿أنا أحيي وأميت﴾** قال له إبراهيم : إذا كنت كما تدعي **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾** فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذراته ،

وتسخير كواكبه وحركاته ، فلما علم عجزه وانقطاعه في حجاجه بهت فلم يتكلم ، وقامت عليه الحجة ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾(٧٣) .

والنمرود هذا هو «أول من ادعى الربوبية ، فهو رأس الطواغيت ، وقد اقتدى به فرعون في هذا الزعم الباطل ، وإذا أُخرس َأبو الطواغيت فلم يتكلم بعد إقامة الحجة عليه فلتخرس كل الألسنة الضالة المضلَلة ، ولتسقط كل رأس في الضلال والنفاق ، وليتجه الناس جميعاً إلى ربهم ، وخالقهم يقرون له بالفضل ، ويخضعون لعظمته بالعبادة إن أرادوا لأنفسهم النجاح والفلاح . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٧٤) .

ثم ينكر الحق تبارك وتعالى على أولئك الذين اتخذوا الشركاء والأنداد من دون الله ، مع عجزهم واحتياجهم إلى الله في الخلق والرزق .

فيقول سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾(٧٥) .

فالنصارى الذين ألهوا عيسى عليه السلام ، أو جعلوه أحد آلهة ثلاثة ، قد افتروا على الله كذباً ، لأن عيسى عليه السلام ما هو إلا عبد من عباد الله ، اصطفاه الله عز وجل ، وجعله وأمه آية ، فليس إلهاً أو ابن إله ، وليس له قدرة على الخلق والإيجاد ، أو الإماتة والإحياء .

وكل ما ظهر على يديه من تلك المعجزات إنما كان بإذن الله تعالى وقدرته تصديقاً له ، وتلك معجزة أيده الله بها .

وهو بعد ذلك لا يستطيع أن يدفع الهلاك عن نفسه أو أقرب المقربين إليه .

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾(٧٦) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾(٧٧) .

هذا هو حديث القرآن عن عيسى عليه السلام : ﴿ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾(٧٨) .

* * *

الفصل الثالث

إعراض أهل الكتاب عن الحق وتحريفهم للكتب المنزلة

لا يعرف التاريخ شعباً جاءت فيه الرسل تترى كشعب إسرائيل ، لذلك كانوا بمعزل عن صحة العذر بطول الأمد على الإنذار ، فلم يمر زمن بين موسى وعيسى آخر أنبيائهم إلا وكان فيه نبي مرسل ، أو أنبياء متعددون ، يأمرون وينهون .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ٨٧﴾(٧٩) . كأنه يقول لهم : **﴿اعلموا يا بني إسرائيل أنه إن كان لطول الأمد على النبوة وبعد العهد بالرسل يد في تغيير الأوضاع ونسيان الشرائع ، وكان في ذلك وجه لاعتذار بعض المتأخرين ، فإن ذلك لا يتناولكم ، فإن الرسل قد جاءتكم تترى ثم كان من أمركم معهم ما كان﴾**(٨٠) .

وخُص المسيح عليه السلام بالذكر بعد ذكر رسل بني إسرائيل على سبيل الإجمال ، ليبين لهم أن الله تعالى أرسل إليهم عيسى بعد ظهور رسل كثيرين منهم بعد موسى ، وأعطاه ما لم يعطه كل رسول من أولئك الرسل ، من الوحي ، أو من قوة الروح . وزكاة النفس ومكارم الأخلاق . ونسخ بعض الأحكام ، وقد كان حظه مع ذلك منهم كحظ سابقيه الذين لم يؤتوا من المواهب مثل ما أوتي ، فماذا كان حظ أولئك الرسل من بني إسرائيل ؟ ، كان حظهم منهم ما أفاده الاستفهام التوبيخي في قوله : **﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾** . فاتبعتم الهوى ، وأطعتم الشهوات ، وعصيتم الرسل الذين أنذروكم ودعوكم إلى أحكام كتابكم **﴿ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾** .

فقتلوا من الأنبياء المرسلين : زكريا ، ويحيى عليهما السلام ، كما قتلوا من

الأنبياء الذين كانت نبوتهم محصورة في الدعوة إلى إقامة التوراة ، ودليلها محصور في الإنباء ببعض المغيبات . العدد الكثير ، وكان هذا الفريق منتشراً في أسباط بني إسرائيل .

وفي هذه الآية حجتان للنبي ﷺ : حجة على بني إسرائيل ، فلم يكن لهم عذر في عدم إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم ، وحجة على الذين يعجبون لعدم إيمانهم به ، وإجابتهم دعوته ، وبيان أن المعاندة والجحود من شأنهم ، فلم يكن انصرافهم عن دعوته وعدم الإيمان به نتيجة الجهل وعدم المعرفة ، بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، بل أشد، كما قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾(٨١) .

فالكتاب هنا هو القرآن الكريم ، ومصدق لما معهم ، معناه أنه موافق له في التوحيد وأصول الدين ومقاصده ، وكانت اليهود تستفتح على مشركي العرب بالنبي المنتظر ، يقولون : إنه سيظهر ، فينصر كتابه التوحيد الذي نحن عليه ، ويخذل الوثنية التي أنتم عليها ويبطلها ، فيكون مؤيداً لدين موسى . فلما بعث الله هذا الرسول ، وكان من العرب ، ولم يكن من بني إسرائيل ، حسدوه ، جحوداً وبغياً ، وحملهم الحسد على الكفر به ، فحقت عليهم اللعنة بسبب كفرهم ، حتى صار الكفر وصفاً لازماً لهم ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾(٨٢) .

وكما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾(٨٣) .

إن علماء أهل الكتاب يعلمون صحة ما جاء به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده بل أشد .

قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، وكان من علماء اليهود وأحبارهم : «أنا أعلم به مني با بني ، فقال له عمر رضي الله عنه : لِمَ؟ قال : لأني لست أشك في

محمد أنه نبي ، فأما ولدي فلعل والدته خانت ، وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال له : أتعرف محمداً كما تعرف ولدك؟ قال : نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين من الأرض بصفته فعرفته ، وإني لا أدري ما كان من أم ولدي ، وكذلك تميم الداري من علماء النصارى ، فقد عرفوه ﷺ معرفة لا يتطرق إليها الشك(٨٤) .

ومع هذا التحقق والإتقان العلمي ، فإن فريقاً منهم ، ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ ، وهم يعلمون أنه الحق الذي لا مرية فيه .

وقد أسند هذا الكتمان إلى فريق منهم ، إذ لم يكونوا كلهم كذلك ، فإن منهم من اعترف بالحق وآمن واهتدى به ، ومنهم من كان يجحده عن جهل ، وهذا من دقة حكم القرآن على الأمم بالعدل ، فالله عز وجل ﴿**لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون**﴾ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾(٨٥) .

إن حكم الله العادل سواء في معاملة الخلق ، فهو يعاملهم بسنة واحدة ، لا يحابي فريقاً ويظلم فريقاً ، بل يعطي كل ذي حق حقه ، بصرف النظر عن أنساب الشعوب وما تدين به من دين ، وما تتخذه من ملة ، فكل ذلك لا أثر له في رضاء الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة قوم ولا ضعتهم ، بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة . إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى ، وإحسان العمل له .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(٨٦) .

فالفوز لا يكون بالجنسيات الدينية لأنها مسلمة ، أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلاً ، وإنما يكون بإيمان صحيح ، له سلطان على النفس ، وعمل يصلح به حال الناس ، ولذلك نفى الله عز وجل أن يكون الأمر عند الله بحسب أماني المسلمين ، أو أماني أهل الكتاب ، وأثبت أنه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح .

قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) ﴾(٨٧) .

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقي ناس من المسلمين واليهود والنصارى ، فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ، ديننا قبل دينكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن على دين إبراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى مثل ذلك . فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ، ونبينا ﷺ بعد نبيكم ، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم . نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ . . . ﴾ الآية(٨٨) .

والقرآن الكريم يبين وحدة الدين الإلهي واتفاق النبيين في جوهره ، ثم يبين جهل أهل الكتاب بهذه الوحدة ، وقصر نظرهم على ما يمتاز به كل دين من الفروع والجزئيات ، أو التقاليد التي أضافوها على التوراة والإنجيل ، فبعد بها كل فريق من الآخر أشد البُعد ، وصار الدين الواحد كفراً وإيماناً ، كل فريق من أهله يحتكر الإيمان لنفسه ، ويرمي الآخر بالكفر والإلحاد ، وإن كان نبيهم واحداً وكتابهم واحداً .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾(٨٩) .

فهذه الآيات تبين عقيدة الفريقين في التفرق في الدين ، إن اليهود يدعون إلى اليهودية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها ، والنصارى يدعون إلى النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها . . ولو صدق أي واحد منهما ما كان إبراهيم مهتدياً ، لأنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، وكيف؟ وهم متفقون على كونه إمام

المهتدين ، لذلك أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يرد على مزاعمهم الباطلة بقوله : ﴿**قل بل ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين**﴾ أي نتبع ، أو اتبعوا ملة إبراهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه ، فهي الملة الحنيفة القائمة على الجادة بلا انحراف ولا زيغ ، العريقة في التوحيد والإخلاص ، بلا وثنية ولا شرك ، وهي ملتنا ، أما أهل الكتاب فقد خرجوا بدينهم عن وضعه الأول ، فنسوا بعضاً منه وحرفوا بعضاً آخر ، وزادوا عليه ونقصوا فيه ، فاليهود أضافوا التلمود إلى ما عندهم من التوراة وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أحبارهم فيه باليهودية ، وأما النصارى فقد ظهر دينهم بشكل لو رآه الحواريون الذين أخذوا الدين عن المسيح مباشرة لما عرفوا أي دين هو .

ثم أمر الله رسوله بأن يدعو إلى اتباع ملة إبراهيم ، ثم أمر المؤمنين بمثل ذلك . فقال : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾(٩٠) .

أي لا تكن دعوتكم إلى شيء خاص بكم ، يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية ، بل انظروا إلى جهة الجمع والاتفاق . وادعوا إلى أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين وما أنزل إليهم من ربهم ، مع الإسلام لرب العالمين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسله .

قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(٩١) .

فالمؤمنون يؤمنون بجميع الرسل ، وما أنزل إليهم ، سواء منهم من له كتاب يؤثر ، ومن ليس له ذلك ، نؤمن بالجميع إجمالاً ، ونأخذ التفصيل من خاتمهم عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لنا أصل ملتهم التي كانوا عليها ، وهذا هو الفارق بيننا وبين غيرنا من أهل الأديان الأخرى ، ونحن على الحق ، وهم على الباطل ، بسبب إعراضهم عن دعوة محمد ﷺ . وعن أصل دين الأنبياء وجوهره ، وهو التوحيد الخالص لله وحده : ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ ﴾(٩٢) .

وصدق الله ، فإن أمر هؤلاء (أهل الكتاب) محصور في العداوة والمشاقة ، بسبب التعصب والخلاف وخروجهم عن منهج الله عز وجل . ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا

مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٩٣) .

وإذا كانت الملة الصحيحة هي ملة إبراهيم ، وهي لم تكن يهودية ولا نصرانية ، كما زعم اليهود والنصارى ، وإنما هي صبغة الله التي لا صنعة لأحد فيها ، وقد جاء محمد ﷺ ببيانها ، ودعوة الناس إلى الرجوع إليها . فكل من رغب عنها ولم يعمل بمقتضاها فهو سفيه ، قد امتهن نفسه ، واستخف بها . قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾(٩٤) .

هذه ملة أبيكم إبراهيم الذي تنتسبون إليه وتفخرون به ، فكيف ترغبون عنها؟ وتنتحلون لأنفسكم أولياء لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولقد اصطفيناه في الدنيا بهذه الملة ، فجعلناه إماماً للناس ، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين لجوار الله ، بعمله بهذه الملة ، ودعوة الناس إليها ، فكل من رغب عنها فهو سفيه قد ألغي عقله ، واستحب العمى على الهدى ، فخسر الآخرة والأولى .

ولقد أعذر القرآن أهل الكتاب ودعاهم إلى الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم ، المصدق لما معهم ،والمهيمن عليه قبل فوات الأوان ، ثم حذرهم من الشرك وبين أنه الجريمة الوحيدة التي لا تغفر ، وأن كل من أشرك به فقد افترى إثماً عظيماً ، وقد تلطف معهم في دعوته وخاطبهم بما يجب عليهم الالتزام به بموجب ما أنزله عليهم من الكتاب فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾(٩٥) .

ولو استجاب أهل الكتاب لهذه الدعوة وآمنوا بما نزل على محمد ﷺ وهو الحق من ربهم لكان خيراً لهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا

لَهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾(٩٦) .

فبين الله عز وجل أن الفسق هو الصفة الغالبة على أكثرهم ، وأن المؤمن منهم قليل ، فاليهود لم يلتزموا بأحكام التوراة ،ولم يحفظوها من التغيير والتبديل ، بل كتبوها بأيديهم ،وقالوا : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ثم حرفوا الكلم من بعد مواضعه ، وقالوا لأتباعهم :إن أتاكم محمد بما نقوله فخذوه ، وإن أتاكم بغيره فارفضوه ، وما يقولون إلا كذباً وباطلاً ، وقولاً محرفاً . قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١ ﴾(٩٧) .

ثم يحكم القرآن عليهم بعدم الإيمان بسبب إعراضهم عن حكم التوراة فيقول : ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣ ﴾(٩٨) .

ثم مدح الله التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى عليه السلام فقال : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ ﴾(٩٩) .

لقد كان من المعهود أن يكون اليهود أول المسارعين إلى اعتناق الإسلام والإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، لأنهم موحدون ومصدقون بالوحي والبعث في الجملة ، ولأن الرسول مصدق لما معهم في الجملة ، ولكن القرآن الكريم أنكر على المؤمنين ذلك الطمع بدخول اليهود في دين الله أفواجاً ﴿۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾(١٠٠) .

وقوله تعالى : ﴿**من بعد ما عقلوه**﴾ ، نص في التعمد وسوء القصد ،وليس عن سوء الفهم ،أي أنهم كانوا يفعلون ذلك في حال العلم بالصواب واستحضاره ، لا أنهم كانوا في نسيان أو ذهول . وفي هذا من التشنيع عليهم ما لا مزيد فيه .

من أجل هذا استحقوا هذا الوعيد الشديد ، لأنهم أوهموا الناس أن كل ما كتبوه بأيديهم مأخوذ من كتاب الله وهو التوراة . ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(١٠١) .

وكل ما يباع به الحق ويترك لأجله فهو قليل ، لأن الحق أثمن الأشياء وأغلاها ، وأرفعها وأعلاها ، لذلك كرر الوعيد . فالهلاك والويل محيط بهم من أقطارهم ، ونازل بهم من جانب الوسيلة ومن جانب المقصد](١٠٢) .

وليتهم اكتفوا بهذا ، بل أنكروا عناداً واستكباراً كل ما أنزل الله على رسله من كتب حتى التوراة التي أنزلها الله على رسولهم موسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(١٠٣) .

هكذا كفر اليهود بالكتب المنزلة ، وضيعوا التوراة ، وبدلوها وحرفوها ، بل أنكروها ، كما ذكرت الآية الكريمة ، واعتمدوا على كتابين من صنع أيديهم ، هما : العهد القديم والتلمود . وقد قرر غير واحد من العلماء والباحثين بأن العهد القديم من صنع اليهود ، وليس من عند الله تعالى ، وأنه بعيد كل البُعد عن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام فيها هدى ونور . كما أن التلمود قد كتب وألف بعد الميلاد بزمن طويل ، امتد من القرن الثاني إلى أواخر السادس بعد الميلاد ، ومع هذا فإن اليهود يعتبرونه كتابا مقدساً ، بل هو عندهم أقدس من التوراة (العهد القديم) على ما فيه من الكفر والضلال وفساد العقيدة وتصويره الله عز وجل بصورة لا تليق بجلاله ، كما وصفوا الرسل بالكفر ، والملائكة بالفسق والفجور ، كما كفروا بيوم القيامة الذي جاءتهم به التوراة ، وقررت عقيدتهم البعث والنشور والجنة والنار والحساب والجزاء . كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات .

فكيف يطمع المسلمون في إيمانهم والدخول في شريعتهم وتركهم الخلاف والشقاق ، بعد أن أصبحت هذه الأكاذيب والافتراءات عقيدة وشريعة عندهم ، مع أنهم كتبوها بأيديهم وهم يعلمون أنها ليست من عند الله ، إن الشقة بيننا وبينهم واسعة ، والخلاف كبير وكبير ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾(١٠٤) .

والخطاب وإن كان موجهاً إلى النبي ﷺ ، فإن المقصود به الأمة من بعده ، فالله عز وجل يعلم أنه لا يتبع أهواءهم في حال من الأحوال ، فقد عصمه من الزيغ والضلال ، إنما جاء على هذا الأسلوب ليرشد من يأتي بعده ممن يتبع سنته ويأخذ بهديه ، فهو يرشدنا إلى الجهر بالحق والانتصار له . وعدم المبالاة بمن يخالفه ، مهما قوي حزبهم ،واشتد أمرهم .

إن الآيات والنذر لا ترجع اليهود عن ضلالهم ،ولا تثنيهم عن غيهم وبغيهم ، فإذا استمروا على الجحود والخصام ، وأعرضوا عن الدعوة إلى الدخول في الإسلام ، فليس ذلك بدعاً منهم ، ولا دليلاً على أن الإسلام غير واضح بالنسبة لهم ، فكم جاءهم أنبياؤهم بالآيات البينات ، وكم بلاهم الله بالحسنات والسيئات ، ولم يغن ذلك عنهم ولا صدهم عن خلافهم وشقاقهم ، بل بدل الذين كفروا منهم قولاً غير الذي قيل لهم ، كما بدلوا نعمة الله كفراً .

قال تعالى : ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾(١٠٥) .

وبصفة عامة ، فإن كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى تنقسم عندهم إلى قسمين :

١ - قسم يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام .

٢ - وقسم منهم يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام .

ومجموع الكتب من القسم الأول يسمى (بالعهد القديم) .

ومن القسم الثاني يسمى (بالعهد الجديد) .

كما أن العهد الجديد ينقسم إلى قسمين :

١ - قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين .
٢ - وقسم اختلفوا فيه .

فأما القسم الأول من العهد الجديد ، فعشرون كتاباً ، الأناجيل الأربعة المعروفة وهي :

١ - إنجيل متى .
٢ - إنجيل مرقس .
٣ - إنجيل لوقا .
٤ - إنجيل يوحنا .

ولفظ الإنجيل مختص بالكتب الأربعة ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب عن اليونانية ، وهو بمعنى البشارة والتعليم . ثم كتاب أعمال الحواريين وبقية الرسائل .

وأما القسم الثاني من العهد الجديد فسبعة كتب ، وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا ، وهذه الكتب هي :

١ - رسالة بولس إلى العبرانيين .
٢ - الرسالة الثانية لبطرس .
٣ ، ٤ - الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا .
٥ - رسالة يعقوب .
٦ - رسالة يهوذا .
٧ - مشاهدات يوحنا .

وفي سنة ٣٢٥ من ميلاد المسيح عليه السلام ، انعقد مجلس العلماء من

المسيحيين للنظر في هذه الكتب وفي سنة ٣٦٤ انعقد مجلس آخر ،ثم انعقد مجلس ثالث في سنة ٣٩٧ ، ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس . وكانت محصلة هذه المجالس أن زاد البعض على هذه الكتب ورد البعض الآخر وأبقوا سائر الكتب المشكوك فيها . وأصبحت مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين ،إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت ، فردوا حكم هؤلاء الأسلاف في بعض الكتب ، وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة .

ومن كتب العهد الجديد سوى الكتب المذكورة : كتب جاوزت سبعين كتاباً ، منسوبة إلى عيسى عليه السلام ، ومريم ، والحواريين ، وتابعيهم . والمسيحيون يقولون : إن هذه الكتب من الأكاذيب المصنوعة ، واتفق على هذا القول الكنيسة الأرثوذكسية ، والكاثوليك والبروتستانت ، وهذه الكتب مشكوك فيها ، وليس لها سند ، كما توجد روايات واهية ضعيفة بلا سند ، يعلم منها : أنه لا سند عندهم للأناجيل الأربعة كذلك .

يقول (هودن) في تفسيره المطبوع سني ١٨١٢م : الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة ، وغير معينة . لا توصلنا إلى أمر معَّين ، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها . وقبل الذين جاءوا من بعدهم هذا تعظيماً لهم ، وهي الروايات الصادقة والكاذبة ، ووصلت من كاتب إلى آخر ، وتعذر انتقادها بعد انقضاء المدة(١٠٦) .

من هذا العرض العام الذي عرضه صاحب كتاب إظهار الحق بالنسبة لكتب العهدين القديم والجديد ، يظهر لنا بوضوح أن تلك الكتب المزعومة التي كتبوها بأيديهم ، وأسبغوا عليها صبغة القداسة والطهر ، هي بعيدة كل البعد عما أنزل الله من التوراة الحقيقية التي أنزلها على موسى عليه السلام ، كما أنها بعيدة كل البعد كذلك عن الإنجيل الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى عليه السلام .

كما أنها أباطيل وكفريات ما أنزل الله بها من سلطان . وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد حرفوا وغيروا وبدلوا ما أنزل الله من التوراة والإنجيل ، ولم يلتزموا بما جاءهم من ربهم ، كما كفروا كذلك بما أنزل على

محمد ﷺ ، وهو مصدق لما معهم ، وذلك بشهادة القرآن الكريم وهو أصدق كتاب على وجه الأرض .

ومن هنا كان الخلاف بيننا وبينهم في أصل العقيدة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون جميعاً ، وهي التوحيد لله وحده لا شريك له ، فقد نسبوا إلى الله الولد ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(١٠٧)

فالقضية لم تحسم بعد والخلاف قائم ما لم يؤمنوا بهذا الكتاب الخاتم الذي جاء مصدقاً لما معهم ، والرسول الخاتم الذي بشَّر به كل الأنبياء والمرسلين ، وهو محمد ﷺ . وكتابه هو القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(١٠٨) .

فالنصارى مثل اليهود ، ضلوا الطريق ، وكذبوا الرسل ، وأعرضوا عن الحق ، وحرفوا الكتب ، ونسبوا إلى الله الولد افتراءً وكذباً ، واتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(١٠٩) .

الفصل الرابع

عبودية عيسى وإبطال التثليث

لا نعلم أمة أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها من النصارى ، فلو سألت الرجل وامرأته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً ، مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث ، وعبادة الصليب ، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ، ولا نبي ، ولا رسول ، وإنما هو إله في الحقيقة ، هو أب والد لم يزل ، وأن ابنه نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، ومن مريم ، وصار هو وابنها الناسوتي إلهاً واحداً ، ومسيحاً واحداً ، وخالقاً واحداً ، ورازقاً واحداً ، حملت به مريم وولدته ، وأخذ وصلب ، ومات ودفن ، وقام بعد ثلاثة أيام ، وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين أبيه ، فالذي ولدته مريم وشاهده الناس ، وكان بينهم : هو الله في زعمهم ، وهو ابن الله ، وهو كلمة الله(١١٠) .

ثم اختلفت فرقهم بعد ذلك في شخصية المسيح عليه السلام . . .

فقالت اليعقوبية : إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : «إحداهما طبيعة الناسوت ، والأخرى طبيعة اللاهوت» . وإن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً ، وجوهراً واحداً ، وشخصاً واحداً ، فهذه الطبيعة الواحدة ، والشخص الواحد ، هو المسيح . وهو إله كله ، وإنسان كله ، وهو شخص واحد ، وطبيعة واحدة من طبيعتين ، وأن مريم ولدت المسيح وهو الله في زعمهم ، وأنه قبض عليه ، وصلب ، ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك .

وقالت الملكية ـ نسبة إلى دين الملك ، ـ «إن الابن الأزلي الذي هو الكلمة ، تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس ، وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة ، فصار إنساناً بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس ، وإلهاً بجوهر اللاهوت ، كمثل أبيه لم يزل .

وقالوا : إن مريم ولدت «المسيح» . وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت ،

وقالوا : إن الذي مات هو الذي ولدته مريم ، وهو الذي وقع عليه الصلب والقتل ، واللهوت لم يمت ولم يدفن ، ثم قالوا : هو إله تام بجوهر لاهوته ، وإنسان تام بجوهر ناسوته ، وله المشيئتان : مشيئة اللاهوت ، ومشيئة الناسوت .

وأما النسطورية : فذهبوا إلى القول : بأن المسيح شخصان وطبيعتان ، لهما مشيئة واحدة ، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة ، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ، ولا يمتزج بشيء ، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان ، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان ، وأن مريم ولدت المسيح بناسوته ، وأن اللاهوت لم يفارقه قط ، وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله ، وهو لم يستنكف من ذلك ، ورغبت به عن عبودية الله ، وهو لم يرغب عنها .

فأنت ترى أن هذه الفرق وإن اختلفت في شخصية المسيح إلا أنها اتفقت جميعاً في نسبة الولد لله تعالى ، والغلو في عيسى عليه السلام ، حتى رفعوه إلى مرتبة الألوهية هو وأمه ، وهذه العقيدة تنكرها العقول السليمة ، وتأباها الفطرة المستقيمة ، وقد كذبهم الله جميعاً ، وسجل عليهم الكفر ، وندد بعقولهم وهددهم أشد التهديد بسبب افترائهم وغلوهم ، كما كشف عن عقائدهم الفاسدة مع تبرئة عيسى عليه السلام مما نسبوه إليه .

قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾(١١١) .

ثم يهددهم القرآن الكريم ويأمرهم بعدم التجاوز ، لأن ذلك يؤدي إلى الضلال والانحراف عن الدين الحق ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾(١١٢) .

كما يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا
تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن
يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾(١١٣) .

نزلت الآيتان في طوائف من النصارى حين قالوا : عيسى ابن الله ، وبالغوا في تعظيمه ، ووصفوا الله تعالى بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان أو روحه .

قال الكلبي : إن وفد نجران قالوا للنبي ﷺ : يا محمد ، تعيب صاحبنا؟ قال : «ومن صاحبكم»؟ قالوا : عيسى ، قال : «وأي شيء أقول فيه؟ قالوا : تقول إنه عبدالله ورسوله ، فقال لهم : «إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبداً لله» قالوا : بلى(١١٤) .

ولما نهاهم عن طريق الغلو أرشدهم إلى طريق الحق ، وهو أن المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله .

إن عيسى وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة ، وليس ذلك بالأمر المستغرب ، فمثل عيسى في هذا كمثل آدم ، خلقه الله من تراب ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، فصار بشراً سوياً .

والمراد بالروح ، النفخة من جبريل بأمر من الله تعالى وإذنه ، كما قال تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾(١١٥) .

والتنكير في قوله : ﴿روح﴾ للتعظيم ، والإضافة للتشريف ، وقوله تعالى : ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ ، يعني أن عيسى من رسل الله فآمنوا به كإيمانكم بسائر الرسل ، ولا تجعلوه إلهاً .

وقوله : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ أي لا تقولوا : إن الله تعالى واحد بالجوهر ، ثلاثة بالأقانيم ، ومذهب النصارى في هذه العقيدة مجهول جداً ، ولا نرى في الدنيا مذهباً أشد ركاكة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى . (وثلاثة) خبر مبتدأ محذوف ، أي

آلهتنا ثلاثة ، لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون : إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾(١١٦) .

ثم أكد الله التوحيد بقوله : **﴿إنما الله إله واحد﴾** ثم نزه نفسه عن الولد بقوله **﴿سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض﴾** . ومن كان مالكاً لكل ما في السماوات والأرض ولكل ما فيهما ، كان مالكاً لعيسى ولمريم ، وإذا كانا مملوكين له فكيف يعقل توهم كونهما له ولداً أو زوجة **﴿وكفى بالله وكيلاً﴾** أي أنه قادر على تدبير المخلوقات ، وحفظ المحدثات ، فلا حاجة معه إلى القول بإثبات إله آخر .

وقوله تعالى : **﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾** أي لن يأنف ولن يمتنع المسيح عليه السلام بسبب ما أعطاه الله تعالى قدراً من العلم ومن القدرة لا يستنكف عن عبادة الله تعالى ، فإن الملائكة المقربين أعلى حالاً منه في العلم بالمغيبات ، لأنهم مطلعون على اللوح المحفوظ . وأعلى حالاً منه في القدرة ، لأن ثمانية منهم حملوا العرش على عظمته ، ومع ذلك لن يستنكفوا عن عبودية الله ، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم والقدرة؟(١١٧) .

وقد بيَّن الله تعالى فساد مذهبهم وبطلان عقيدتهم ، وحكم عليهم بالكفر والضلال . فقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾(١١٨) .

فقوله تعالى : **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** . وذلك على حسب اعتقادهم الباطل بأن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى ، فذات الله تعالى اتحدت بعيسى وحلّت فيه ، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول .

وقوله تعالى : **﴿قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾** .

وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط . والتقدير إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً فمن الذي يقدر أن يدفعه عن مراده؟ لا أحد يمنعه من ذلك . وقوله : ﴿**يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير**﴾ يعني أن القدرة صالحة للخلق على أي وجه ، فتارة يخلق الإنسان من الذكر والأنثى ، كما هو معتاد بالنسبة لسائر الخلق ، وتارة يخلق من غير أب وأم ، كما في خلق آدم عليه السلام ، وتارة من الأم من غير أب ،كما في خلق عيسى عليه السلام ، وتارة من أب من غير أم ، كما في خلق حواء .

والذي لا يستطيع أن يدفع الهلاك عن نفسه أو عن أقرب المقربين إليه وهي أمة ، فمن باب أولى لا يقدر على دفعه عن بقية الناس ، فلا يصلح أن يكون إلهاً ، لأن الإله لا يقف أمام قدرته شيء .

ثم بين الله تعالى حقيقة عيسى عليه السلام ، وأنه عبد الله ورسوله ، كما بين حقيقة مريم عليها السلام فقال : ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (٧٥)﴾(١١٩) .

أي كيف يصرفون عن عبادة الله الواحد الحق إلى عبادة غيره من البشر ! مع احتياجهم إلى الله تعالى في طعامهم وشرابهم . والذي يأكل الطعام في حاجة إلى الإخراج ، وهذا من كنايات القرآن اللطيفة ، والذي يأكل ويُخرج لا يصلح أن يكون إلهاً .

وقد قرر القرآن الكريم عبودية عيسى عليه السلام في أكثر من آية وأنكر على النصارى قولهم بالنسبة لعيسى ، وعلى كل من نسب الولد إلى الله تعالى .

فقال سبحانه : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا (٨٨) لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا (٩٣)

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾(١٢٠) .

قال ابن عباس رضي الله عنه عند تفسير الآيات : «إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن تزول منه لعظمة الله سبحانه وتعالى ، فالشرك جريمة لا تغفر ، ولا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، نعوذ بالله منه ، وقد قال الرسول ﷺ : «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة» . فقالوا : يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال : «تلك أوجب وأوجب» ثم قال : «والذي نفسي بيده لو جيء بالسماوات والأرضين وما فيهن ، وما بينهن ، وما تحتهن ، فوضعن في كفة الميزان ، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن»(١٢١) .

وإذا كانت كلمة التوحيد ترجح السماوات والأراضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن ، فإن الشرك بالله من أكبر الكبائر ، ومن أعظم الذنوب . وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر قال : «الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وشهادة الزور»(١٢٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك . . . . الحديث»(١٢٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»(١٢٤) . وقال : «من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله»(١٢٥) .

فاليهود وكذلك النصارى كفروا بالله ورسله ، ونسبوا إلى الله الولد ، كما ذكر القرآن الكريم : ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله**﴾ كما اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، فكفروا بالله ورسله ، وقد أمرهم الله تعالى أن يؤمنوا بجميع الرسل بعد إيمانهم بإله واحد ، ورب واحد ،

هو رب العالمين جميعاً . وقد سجل القرآن عليهم الكفر ، فاستحقوا بذلك العذاب المهين يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١) ﴾(١٢٦) .

ولقد حكم القرآن صراحة على النصارى بالكفر في أكثر من آية وهددهم أشد التهديد إن لم يتوبوا عن هذه المقولة الكاذبة ، وهي القول بالتثليث ، أو ألوهية عيسى عليه السلام ، أو القول بالبنوة بالنسبة له .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٤) ﴾(١٢٧) .

ثم يقرر عبودية المسيح عليه السلام ، وأنه بشر مخلوق لله ، وعبد من أصفياء عباده ، اختاره للرسالة كسائر الرسل الذين مضوا قبله ، وسيمضي كما مضوا ، فكيف يكون إلهاً أو جزء إله؟

أما ادعاؤهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، فقد كذبهم الله تعالى في هذا الادعاء ورد عليهم هذا الزعم الفاسد ، قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (١٨) ﴾(١٢٨) .

فقد زعم اليهود أن عزيراً ابن الله ، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله . فأبطل الله عليهم دعواهم وقال : **﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾** . ولو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذبهم ، وهم يعترفون بهذا العذاب ، وقوله **﴿بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾** يعني : أنه ليس لأحد عليه حق يوجب عليه أن يغفر له ، وليس لأحد عليه حق يمنعه من أن يعذبه ، بل الملك له ، يفعل ما يشاء ، ويحكم بما يريد .

وقوله : **﴿وإليه المصير﴾** ، أي إليه يؤول أمر الخلق في الآخرة ، لأنه لا يملك الضر

والنفع هناك إلا هو .

والقرآن الكريم ـ وهو الكتاب الخاتم ، والمصدق لما سبق ـ يخبر الرسول ﷺ أن الذي أنزل عليه من خبر عيسى عليه السلام هو الحق ، وليس كما قالت النصارى واليهود ، فالنصارى قالوا : مريم ولدت إلهاً ، واليهود رموا مريم عليها السلام بالإفك ، ونسبوها إلى يوسف النجار ، فالله تعالى بيَّن أن هذا الذي أنزل في القرآن هو الحق ، ثم نهى عن الشك فيه .

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (٦٠) ﴾(١٢٩) .

وبعد أن بيَّن الله تعالى وجوهاً من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد ، أتبع ذلك بضرب المثل بآدم عليه السلام ، لكي يكون ذلك قاطعاً لفساد كلامهم ، وهو أنه لما لم يلزم في عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابناً لله ، لم يلزم من عدم الأب البشري لعيسى عليه السلام أن يكون ابناً لله .

ولما لم يبعد خلق آدم عليه السلام من التراب ، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم الذي كان يجتمع في رحم أم عيسى عليه السلام ، وكل من أنصف وطلب الحق لا يسعه إلا أن يعترف بتلك الحقائق الواضحة ، ويؤمن بتلك الدلائل القاطعة .

أما من عاند وركب رأسه ، ولم يقتنع بما جاءه من البيِّنات والهدى ، فهو في هذه الحالة يعامل معاملة المعاند ، وهذا هو الأسلوب الأمثل الذي سلكه القرآن مع أولئك المعاندين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

قال تعالى : ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٦٢) ﴾(١٣٠) .

فالعلم الصحيح والجواب الحق بالنسبة لعيسى عليه السلام هو ما أخبر به القرآن الكريم ، ودعاهم إليه الرسول العظيم ، ومما يدل على بطلان زعمهم ، وفساد اعتقادهم ، وصدق نبينا محمد ﷺ وما جاء به القرآن الكريم في حق عيسى عليه السلام ، شهادة علمائهم ، والحق ما شهدت به الأعداء .

لما أورد رسول الله ﷺ الدلائل على نصارى نجران فأصروا على جهلهم وعنادهم . قال لهم عليه السلام : «إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم» فقالوا : يا أبا القاسم ، نرجع ، فننظر في أمرنا ، ثم نأتيك ، فلما رجعوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأي فيهم ـ : يا عبد المسيح ، ما ترى؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ، أن محمداً نبي مرسل . ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قومٌ نبياً قط فعاش كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم . ولئن فعلتم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل ، وانصرفوا إلى بلادكم .

ولما خرج إليهم رسول الله ﷺ للمباهلة ، قال أسقف نجران : يا معشر النصارى ، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا ، فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ، ثم امتنعوا عن المباهلة ، وطلبوا الصلح من النبي ﷺ ، فصالحهم ورجعوا(١٣١) .

وهذه شهادة حق من كبرائهم وعلمائهم ، ولو لاعنوا لهلكوا جميعاً ، وامتلأ عليهم الوادي ناراً ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، فهل لهم أن يرجعوا إلى الحق ، ويتركوا العناد والمكابرة؟ نرجو ذلك ، وندعوهم إلى كلمة سواء ، ونقول كما ذكر القرآن الكريم : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾(١٣٢) .

وقد وقعت بين الإمام الفخر الرازي وبين بعض القسيسين مناظرة ذكرها في تفسيره في المجلد الثاني في تفسير سورة آل عمران ، عند قول الله تعالى : ﴿ فَمَنۡ

﴿حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾(١٣٣) . ونحن نقتطف منها ما يأتي :

* قال رحمه الله : «اتفق أني حين كنت بخوارزم أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم ، فذهبت إليه ، ووقعت بيننا تلك المناظرة» .

* قال النصراني : «أنا لا أقول في عيسى عليه السلام : إنه كان نبياً ، بل أقول إنه كان إلهاً» .

* فقلت له : الكلام في النبوة لا بد أن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله ، وهذا الذي تقوله باطل ، ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته . يجب ألا يكون جسماً ، ولا متحيزاً ، ولا عرضاً . وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني ، الذي وجد بعد أن كان معدوماً ، وقتل بعد أن كان حياً على قولكم ، وكان طفلاً أولاً ، ثم صار مترعرعاً ، ثم صار شاباً ، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ ، وقد تقرر في بداهة العقول : أن المحدث لا يكون قديماً ، والمحتاج لا يكون غنياً ، والممكن لا يكون واجباً ، والمتغير لا يكون دائماً .

* ثم قال للنصراني : إنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه ، وتركوه حياً على الخشبة ، وقد مزقوا ضلعه ، وأنه كان يحتال في الهرب منهم ، وفي الاختفاء عنهم ، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد ، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه أو كان جزءاً من الإله حالاً فيه ، فَلِمَ لم يدفعهم عن نفسه؟ ولِمَ لم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم ، والاحتيال في الفرار منهم؟

* وإنه لمن العجب أن يعتقد العاقل في صحة هذا القول ، مع أن بديهة العقل شاهدة بفساده .

* ثم ذكر قولاً آخر في بطلان قول النصارى : وهو ما ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ، ولو كان إلهاً لاستحال

ذلك ، لأن الإله لا يعبد نفسه ، وهذه أمور في غاية الجلاء والظهور ، دالة على فساد قولهم وبطلان مذهبهم .

* ثم قال الفخر الرازي للنصراني : ما الذي دلك على كونه إلهاً ؟ .

* قال النصراني : دلّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص . وذلك لا يكون حصوله إلا بقدرة الله تعالى .

* فقلت : إن قلب العصا حية أبعد في العقول من إعادة الميت حياً ، لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان . لماذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى عليه السلام إلهاً ، ولا ابناً للإله ؟ فبأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى ، وعند ذلك انقطع النصراني ، ولم يبق له كلام(١٣٤) .

وهذه الأشياء التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام لم تكن بصنعته هو ، وإنما هي معجزة من الله تعالى أيد الله بها رسوله عيسى عليه السلام ، كما أيد غيره من الأنبياء والرسل بالمعجزات ، وهي نعمة من الله تعالى يمتن بها على من اصطفاه من خلقه .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ
وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

فهذه المعجزات لم تكن من صنع عيسى عليه السلام ، وإنما هي من صنع الله تعالى له ، لكي تكون دليلاً على صدقه في دعوى الرسالة ، وكما فلق الله البحر لموسى عليه السلام ، حتى أصبح كل فرق كالطود العظيم ، وكما جعل الله النار برداً

وسلاماً على إبراهيم ، أظهر كذلك على يد عيسى عليه السلام هذه المعجزات ، فأي غرابة في هذا؟

أما ادعاؤهم بأنهم أولى بالحق والنبوة من المسلمين لتقدم النبوة فيهم ، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحق والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ، فهذا ادعاء من غير برهان ولا دليل ، ومما يدل على بطلان قولهم ويبين كذبهم وافتراءهم : شهادة التوراة والإنجيل على أن الأنبياء كانوا على التوحيد والحنيفية ، وقد أخبر في التوراة والإنجيل والقرآن على لسان محمد ﷺ : أنهم كانوا مسلمين مبرئين عن اليهودية والنصرانية .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) ﴾(١٣٦) .

والتوراة والإنجيل أنزلا من بعد إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٣٧) .

ثم بيَّن أن أولى الناس بإبراهيم هم الذين اتبعوه وآمنوا به ، ولم ينحرفوا عن منهجه ، ومنهم : محمد ﷺ ، ومن آمن من أمته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾(١٣٨) .

وملة إبراهيم عليه السلام هي الملة الحقة ، ودينه هو الدين الحق ، وهو التوحيد الخالص لله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) ﴾(١٣٩) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في رؤوس اليهود ، وفي نصارى نجران ، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله من غيرها . قالت النصارى : نبينا أفضل الأنبياء ، وكتابنا أفضل الكتب ، وديننا أفضل الأديان ، وكفرت بمحمد وبالقرآن ، وقالت اليهود : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد ، تهتد ، فأنزل الله الآية(١٤٠) .

وقد اعتمد النصارى في شبهتهم بالنسبة لعيسى على أمرين :

أحدهما : أنه قدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص . وهذا القدر من القدرة لا يكفي ، بل لا بد أن يكون عزيزاً ، والإله لا بد أن يكون قادراً على أن يصور في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب ، ومعلوم أن عيسى عليه السلام ما كان قادراً على الإحياء والإماتة على هذا الوجه ، ولو كان قادراً على الإحياء والإماتة على هذا الوجه لأمات الذين أخذوه على زعم النصارى .

الأمر الثاني : قالوا : إنه كان يخبر عن الغيوب وغيرها ، فيكون إلهاً ، وهذا القدر لا يكفي ، بل لا بد أن يكون الإله حكيماً عالماً بجميع المعلومات ، وبجميع عواقب الأمور ، وعيسى لم يكن كذلك ، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

أما ما ظهر على يد عيسى فهو بوحي من الله تعالى وتعليم منه ، إكراماً له . وكيف والنصارى يقولون : إنه أظهر الجزع من الموت ، فلو كان عالماً بالغيب كله لعلم أن القوم يريدون أخذه وقتله ، وأنه يتأذى بذلك ويتألم ، فكان يعرقل وصولهم إليه ، فلما لم يتم ذلك ظهر أنه لم يكن عالماً بجميع المغيبات والمعلومات والإله لا يخفى عليه شيء ، ومما يشهد بأن عيسى عبدالله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاها إلى مريم العذراء البتول : ما قاله جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي حين سأله النجاشي عن عيسى ، وذلك من حديث طويل لأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ .

قال عمرو بن العاص(١٤١) : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه ، فأرسل إليهم النجاشي فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ يقول : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته : ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فضرب النجاشي بيده في الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال والله ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود . (أي مقدار هذا العود) فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال . فقال : وإن تناخرتم والله . وحين سمع النجاشي ما قرأه جعفر عليه من سورة مريم بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة(١٤٢) .

هؤلاء هم المنصفون من النصارى ، وتقرأ الآيات من سورة المائدة في هذا : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(١٤٣) .

لقد أبطل القرآن الشرك بجميع أشكاله ، وندد بالشركاء والأنداد . فقال سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾(١٤٤) .

وجاء هذا الأسلوب في صورة الاستفهام الإنكاري ، لتوبيخ هؤلاء ، فلم يجرؤ أحد على ادعاء الخلق أو الشركة في خلق السماوات ، وليس معهم دليل أو برهان يبيح لهم الشركة ، فمن أين أتوا بهذا الزعم؟

أما ما وقع من عيسى عليه السلام ، فإن ذلك لم يكن بخلقه وإيجاده ، إنما كان بأمر الله تعالى كما بيّنا سابقاً .

إن أمر العقيدة إنما يتلقى من كتاب من كتب الله ، وأن هذا هو المصدر الوحيد الوثيق ، وليس لهم شيء يدعونه ، وكتب الله جميعاً جاءت بهذه العقيدة الخالصة ، وعيسى عليه السلام قد أقر بعبوديته لله تعالى ، واعترف صراحة أنه عبدالله ، وأن الله تعالى ربه ورب العالمين جميعاً .

قال تعالى في شأنه : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) ﴾(١٤٥) .

وقال تعالى في سورة مريم : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

لقد أعلن ذلك وهو صبي في مهده ، فليس لأحد بعد هذا الإقرار أن يماري فيه ، وإلا كان كاذباً .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) ﴾(١٤٧) .

والأناجيل التي يعترف بها النصارى تشهد ببشرية عيسى عليه السلام وإنسانيته ، ففي إنجيل يوحنا : أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله(١٤٨) .

وفي إنجيل لوقا : «سأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله» لوقا : ١٨ - ١٩ .

وفي (إنجيل مرقس ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩) حين سئل أية وصية أول الكل؟ فأجابه

يسوع : إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، فلم يدع أنه إله يعبد ولا ابن إله(١٤٩) .

ولقد نادى بالتوحيد صراحة فقال في إنجيل يوحنا (١٧ :٣) : وهذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحفيظ وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته .

ونجد في إنجيل متى (٨ :٢٣ :٢٦) ، ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه . وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة ـ وكان هو نائماً ـ فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين : يا سيد ، نجنا ، فإننا نهلك . فقال : لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان ؟ ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم» . فكيف ينام الإله ويغفل عن الكون؟

لقد كان المسيح بشراً يجري عليه ما يجري على سائر البشر : من نوم ويقظة ، وتعب وراحة ، وخوف وطمأنينة ، ولكن الله سبحانه وتعالى ـ كما يقول القرآن بحقه ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾(١٥٠) .

أما قولهم مع اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، فهذا افتراء وكذب ، ودعوى من غير دليل ولا برهان ، وقد تكفل القرآن الكريم بالرد عليها وإبطالها . قال تعالى : **﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** ، أي ليس الأمر كما زعمتهم وإنما يدخل الجنة من أخلص دينه وعبادته لله وحده ، وهو متبع فيه أمر ربه ، محسن في عمله ، وهذا هو المعول عليه في الإسلام ، وفي جميع الشرائع السماوية ، الإيمان والعمل الصالح المعبر عنهما بالعقيدة والشريعة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾(١٥١) .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(١٥٢) .

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) ﴾(١٥٣) .

ونحن نقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى : يأهل الكتاب لا تغرنكم الأماني ، ولا يخدعنكم الانتساب الباطل إلى الأنبياء ، فهذه هي طريق الجنة ، أسلموا وجوهكم لله تسلموا ، واعملوا الصالحات تؤجروا .

ونحن لا نعجب من موقف اليهود والنصارى من الإسلام ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد أنكر بعضهم بعضاً ، وكفر بعضهم بعضاً ، مخالفاً بذلك الكتاب الذي أنزل إليهم ، فاليهود كفروا بعيسى وهم يتلون التوراة التي تبشر به ، وتذكر من العلامات ما ينطبق عليه .

والنصارى أنكروا أن يكون اليهود على شيء من الدين يعتد به ، لإنكارهم المسيح المتمم لشريعتهم ، كما يقول الإنجيل بلسان المسيح : إنه جاء متمماً لناموس موسى ، لا ناقضاً له ، وهم قد نقضوه ، فدينهم واحد ، ترك بعضهم أوله وبعضهم آخره ، فلم يؤمن به كله أحد منهم ، والكتاب الذي يقرأون حجة عليهم .

قال تعالى مبيناً موقف الفريقين من الآخر : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) ﴾(١٥٤) .

فإذا كانت اليهود كفرت بعيسى وأنكرته ـ وهو منهم ـ وإذا كانت النصارى قد رفضت التوراة وكفرت أهلها ، وهي حجة على دينهم ، فكيف يعتد بكفر هؤلاء

بمحمد ﷺ ، وهو من شعب غير شعبهم ، وقد جاء بشريعة ناسخة لشرائعهم؟

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾(١٥٥) .

* * *

الفصل ا لخامس

قضية قتل المسيح والرد على هذا الزعم الباطل

إن قضية قتل المسيح عليه السلام وصلبه هي واحدة من أخطر القضايا المسيحية ، باعتبارها صارت ركيزة من ركائز العقيدة التي تبناها بولس ، وصار لها السيادة فيما بعد ، ولم تكن على الاطلاق من وصايا المسيح ولا من رسالته ، وقد اختلفت فيها المصادر المسيحية في كل جزئية تتعلق بموضوع الصلب ، فلم تتفق الأناجيل التي بأيديهم على شيء واحد في هذه القضية وما يتعلق بها ، ولم يقم دليل صحيح يعتد به على أن القتل والصلب قد وقع بالفعل .

ومن المعلوم أن الدليل إذ تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، فحين تختلف شهادة شاهدين أمام قاض في محكمة ، فإن ما تفرضه عدالة المحكمة هو عدم الاعتداد بأي من الشهادتين ، إلى أن يأتي شاهد ثالث يؤيد شهادة أحد الشاهدين ، وإلا امتنع صدور حكم عادل في تلك القضية ، وكل ما كتب حول هذه القضية مما يعتقده النصارى قام على الظن وعلى التناقض ، يتناقض بعضه مع بعض ، ويناقض بعضه بعضاً .

والشاهد الوحيد الذي لا تكذب شهادة أبداً ينفي نفياً قاطعاً القول بصلب المسيح عليه السلام ، وتلك معجزة من أكبر معجزات القرآن الكريم ، فلو أن القرآن كان من عند غير الله ، وأن بشراً من الأرض قد افتراه كذباً على الله ، وادعى أنه أوحي إليه ، أما كان الأولى به والأيسر لرواج دعوته أن يقول بصلب المسيح ، باعتبار ذلك شائعاً ومعروفاً بين الناس؟ وفي تلك الحال فإنه يستميل النصارى إليه ، ويقلل من المشاكل والعقبات التي تعترض قبولهم الإسلام .

ولكن القرآن الكريم ـ وهو الكتاب الحق ، الذي جاء بالصدق ـ يقرر في صراحة ووضوح كذبهم جميعاً وافتراءاتهم ، ويبين أن ما استندوا عليه قائم على الظن ،

وليس معهم شعاع من العلم . فيقول سبحانه : ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا (١٥٨) وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا (١٥٩) ﴾(١٥٦) .

وهذا الذي قالوه يدل على كفر عظيم منهم ، لأنهم قالوا : فعلنا ذلك ، كما يدل على أنهم كانوا راغبين في قتله ، مجتهدين في ذلك . فلا شك أن هذا القدر كفر عظيم ، ولكن الله تعالى كذبهم في هذه الدعوى ، وقال : ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾ أي ألقى الله شبهه على غيره ، فوقع القتل والصلب عليه .

والمراد بالذين اختلفوا فيه : (النصارى واليهود) . فالنصارى بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه ، إلا أن كبار فرق النصارى وهم النسطورية ، والملكانية واليعقوبية ، قد اختلفوا في ذلك .

فالنسطورية : زعموا أن المسيح صلب من جهة الناسوت ، أي من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته .

وأما الملكانية : فقالوا : القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور ، لا بالمباشرة .

وقالت اليعقوبية : القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين .

وأما اليهود : فإنهم لما حبسوا عيسى عليه السلام ليقتلوه من عشرة من الحواريين في بيت فدخل عليه رجل من اليهود ليخرجه ويقتله ، فألقى الله شبه عيسى عليه ، ورفع إلى السماء ، فأخذوا ذلك الرجل وقتلوه على أنه عيسى ، ثم قالوا : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟ . فذلك اختلافهم فيه .

وقد نفى الله تعالى قتل عيسى عليه السلام ، وأخبر محمداً ﷺ بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه وما صلبوه .

والآراء في موضوع الصلب مختلفة ومتناقضة كما ذكرنا ، كما أن الاختلاف

واقع كذلك في شكل الصليب الذي استخدم ، فهذا (قاموس الكتاب المقدس) الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى : يقول : «وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة :

أحدهما : المدعو صليب القديس أندراوس ، وهو على شكل (×) . وثانيهما : بشكل (+) ،

وثالثهما : بشكل السيف (I) . وهو المعروف بالصليب اللاتيني ، ولعل صليب المسيح من الشكل الأخير (I) كما يعتقد الفنانون ، الأمر الذي كان يسهل وضع اسم الضحية وعنوان علتها على القسم الأعلى منه»(١٥٧) .

فإذا كان شكل الصليب مختلفاً فيه ، إذن قوله تعالى : ﴿**ولكن شبه لهم**﴾ يبين لنا بوضوح أن كل ما تعلق بالصلب اشتبه أمره عليهم ، وغابت عنهم الحقيقة ، فهم لا يزالون مختلفين في كل ما يتعلق بقضية الصلب : حامل الصليب ، وعلة المصلوب ، ووقت الصلب ، وصلاة المصلوب ، وصرخة اليأس على الصلب ، وما حدث في أعقاب الصلب .

وقد أنكرت بعض الطوائف المسيحية حصول الصلب ، استناداً على الأدلة التاريخية .

يقول أرنست صاحب كتاب (الإسلام والنصرانية الحقة) : إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح عليه السلام ، وليست من أصول النصرانية ، وقد أنكر كثيرون من المؤمنين بعيسى في بداية النصرانية أن المسيح نفسه هو الذي رفع على الصليب ، ويقول ملمن في كتابه (تاريخ الديانة النصرانية) : «إن تنفيذ الحكم على المصلوب كان أثناء الظلام ، مما يستنتج منه إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا منتظرين تنفيذ حكم القتل» .

كما يقول بابيليوس : «إن نفس حادثة القيامة ـ وهي دعوى قيام المسيح عليه

السلام من الأموات المدعى بها بعد الصلب (الموهوم) ـ من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح)(١٥٨) .

والثابت تاريخياً أن النصارى في القرون الأولى ، قبل الملك قسطنطين لم يعرفوا رسم علامة الصليب على وجوههم بالأصابع ، وظهر تبرير ذلك برواية تحكى عن هذا الملك : أنه رأى في السماء صورة صليب من ذهب ، وملك يقول له : إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك (وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر ، وهو الذي بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفوناً ، وعمل من المسامير التي كانت فيه لجاماً لفرسه ، وزين جبينه من ذهب ، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر)(١٥٩) .

وسواء عرف النصارى الصليب قبل قسطنطين أو لم يعرفوه ، فنحن لا نعتمد على أقوالهم ، أو على ما يعتقدونه بالنسبة للقتل والصلب ، ولكننا نعتمد على المصدر الوحيد الذي لا يكذب أبداً وهو القرآن الكريم ، فالقرآن ينفي نفياً قاطعاً أنهم قتلوه أوصلبوه . ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم بذلك من علم إلا اتباع الظن ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً .

والعجب كل العجب من هؤلاء النصارى كيف يقبلون ذلك بالنسبة للمسيح عليه السلام ، مع ما فيه من الإهانة والتشنيع لمن يزعمون أنه ربهم ، وهذا الأمر لا يقبله الإنسان لولده ، فكيف لنبيه ، فكيف لربه؟ ولكنهم للأسف جعلوا الصليب المزعوم أحد الشعائر البارزة في العقيدة النصرانية ، إن لم يكن أبرزها ، فإن الصليب رمز عقيدة النصارى الذي يعبّر عن الإيمان بالتكفير عن خطيئة البشر ، وأصبح لزاماً عليهم رسم علامته في كل مناسبة . يقول العالم المسيحي (انزنوليانوس) : «بمناسبة كل حال وترحال ، وذهاب ومجيء ، وخلع نعال ، واغتسال ، وأكل وإيقاد شمع ، ونوم وجلوس ، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نضع فوق حواجبنا علامة الصليب)(١٦٠) .

أما عن تعليل صلب المسيح ـ عليه السلام ـ في زعمهم فيستندون فيها إلى ما جاء

في الكتب المقدسة (عندهم) : أن الله محبة ، وظهرت هذه المحبة في تدبيره الخلاص للعالم . لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنوه إلى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمه رأى أن يقرب إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ، ليخلص العالم)(١٦١) .

وعقيدة النصارى في الصلب والفداء لتخليص العالم مما لحق به من خطيئة آدم - في زعمهم - هي عقيدة وثنية .

جاء في كتاب بنو إسرائيل في القرآن الكريم» أن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم)(١٦٢) .

وما يروى عن البوذيين في (بوذة) أكثر انطباقاً على ما يرويه النصارى عن عيسى من جميع الوجوه ، حتى إنهم يسمونه (المسيح ، والمولود الوحيد) ، (مخلص العالم) . وهو عندهم إنسان كامل ، وإله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ، ليكفر ذنوب البشر ، ويخلصهم من ذنوبهم ، فلا يعاقبون عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات)(١٦٣) .

ولئن جاز لهؤلاء الوثنيين أن يعتقدوا هذا الاعتقاد الفاسد فلا يجوز لمن أنزل الله إليهم الكتاب فيه هدى ونور أن يقلدوا هؤلاء في وثنيتهم ، ولكنه الكفر والضلال ، والكذب والافتراء ، والقول بغير علم . مع أن الله تعالى طهر عيسى عليه السلام مما نسب إليه .

قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾(١٦٤) .

وقد أخبر القرآن الكريم أن من أهل الكتاب فريقاً آمن بما أنزل إليه ، وما أنزل على رسولنا ﷺ ، وهؤلاء هم العدول منهم ، الذين لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ، وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة الضالين .

قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)﴾(١٦٥) .

والقرآن يقرر أن الإنسان لا يسأل عن جريمة غيره ، ولا يحاسب إلا على ما اقترفت يداه فقط ، فلا تتحمل نفس ذنب الأخرى ، نجد ذلك في كثير من الآيات التي تبطل مزاعم النصارى في قضية الفداء ، وتخليص البشر مما لحق به من خطيئة آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١)﴾(١٦٦) .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)﴾(١٦٧) .

وهكذا في كثير من الآيات مع أن آدم عليه السلام لم يتعمد الأكل من الشجرة ، ولكنه نسي ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾(١٦٨) .

وقد تاب وقبل الله توبته : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾(١٦٩) . ثم اصطفاه للنبوة وقربه إليه . قال تعالى بعد ذكر قصته :

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾(١٧٠) .

وهل من العدل أن يؤخذ البريء بذنب المسيء؟ وهل من الرحمة أن يعاقب غير الآثم؟ وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه؟

على أن هذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) تخالف ما جاء في العهد القديم «لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل»(١٧١) . والذي يعلق على خشبة ملعون من الله(١٧٢) . وإذا كان على إنسان خطيئة حقها

الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة ، بل ندفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله(١٧٣) . وكيف يلعن الله من لم يخطىء؟ .

وهل بقي الله تعالى مجرداً من العدل والرحمة من لدن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التي ظهرت له قبل خلق المسيح ابن مريم؟(١٧٤) . وإذا كان الله عز وجل أراد أن يطهر البشرية من الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام ـ على زعم النصارى ـ فكان من السهل جداً أن يفعل ذلك بوسيلة أخرى غير القتل وسفك الدماء ، كما قال سبحانه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾(١٧٥) . وهي كلمات التوبة والاستغفار وهي : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾(١٧٦) .

وإذا كان المسيح ابن الله كما يقولون ، فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ، ثم الصلب مع دق المسامير في يديه؟

ثم ما هو تصور المسيحيين لله ، الذي لا يرضى إلا أن ينزل العذاب المهين بالناس ، والعهد في الله الذي يسمونه الأب ، ويطلقون عليه الله محبة ، والله رحمة ، أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات؟

وإذا كان المسيحيون يدعون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم ، ففي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد؟ وإذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلياً على هذا الوضع ، فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح عليه السلام؟ إن اليهود وخاصة يهوذا الأسخربوطي ـ كانوا على حسب الفهم المسيحي لموضوع الصلب أكثر الناس عبادة لله ، لأنهم بذلك نفذوا إرادة الله التي قضت بصلب ابنه ، فقاموا هم بتنفيذ ذلك العمل . وإذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية ، فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟ ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة محيت ، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت .

من المعلوم في جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب ، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو ، وبين الخطيئة التي ارتكبها آدم؟

يقول الكاتب المسيحي الذي أسلم ـ عبد الأحد داود وكان مطراناً للموصل : «إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم ، وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب»(١٧٧) .

كما يقول : إن ما حمله على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها ، وإذا كانت خطيئة آدم عليه السلام ظلّت باقية إلى أن جاء المسيح ليخلص البشر من تلك الخطيئة ، فهل كان الأنبياء جميعاً قبل مجيئه مذنبين بسبب تلك الخطيئة؟

وهل كان الله غاضباً عليهم كذلك؟ وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر؟

إن مثل هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة شافية من المسيحيين ، وإلى وقتنا هذا لم نجد من يجيب عليها . فتسقط كل الادعاءات الكاذبة ، ولم يبق إلا ما قرره القرآن في شأن هذه القفضية .

إن الزعم بصلب المسيح وقتله الذي عاش بولس يفلسفه ويدعو له ، قد ذهب سدى ، فلا زال بولس باعترافه عبداً للخطيئة وثمنها عنده موته الأبدي ، فهو يقول : (فإننا نعلم أن الناموس روحي ، وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطيئة ، لأني لست أعرف ما أنا فاعله ، إذ لست أفعل ما أريده)(١٧٨) .

مع أن قضية قتل المسيح عليه السلام وصلبه على زعم النصارى تتناقض مع قولهم بألوهية المسيح عليه السلام فالإلاه الحق من صفاته القدرة ، ومن صفاته كذلك الحياة ، ومن صفاته القيومية :

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض﴾(١٧٩) . وعملية القتل والصلب ، ثم الموت ، ثم القيامة ، بعد ذلك ، تتنافى مع صفات الإله الحق ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾(١٨٠) .

الخاتمة

بهذه الخاتمة ، نستطيع أن نستخلص من البحث النتائج الآتية :

١ - أن التوحيد الخالص لله تعالى : هو دعوة كل نبي من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، وأن ما طرأ على البشرية من انحرافات فيرجع السبب في ذلك إلى ابتعاد الناس عن منهج الله تعالى . وطول العهد بين كل رسول ورسول ، وذلك بحسب طبيعة الرسالات السابقة ، فلم تكن تلك الرسالات عامة ، وإنما كل نبي كان يبعث في قومه خاصة إلا محمداً ﷺ ، فإنه بعث إلى الناس كافة .

٢ - أن اليهودية والنصرانية وهما أقرب الديانات إلى الإسلام قد دخلهما التحريف والتبديل ، ولم يعد منهما إلا المظاهر والأسماء . فاليهود قد أنكروا الكتب السماوية جملة بما فيها التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى هدى ونورا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(١٨١) .

كما أن النصارى انحرفوا عن أصل دينهم فاتخذوا عيسى إلهاً ، أو ابن إله ، وقد حكم الله عليهم بالكفر ، كما حكم عليهم بالفسق ، لأنهم تركوا الإنجيل الصحيح ، وكتبوا بأيديهم تلك الأناجيل المنسوبة إلى أصحابها . قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(١٨٢) .

كما قال تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾(١٨٣) .

٣ - أن الآلهة المزعومة والشركاء والأنداد الذين ألهوهم وعبدوهم من دون الله عاجزة

كل العجز عن خلق أدنى شيء في هذا الوجود ، بل هي محتاجة في إيجادها إلى إلَه قادر تام القدرة ، وإذا كان الأمر كذلك فهي لا تنفع ولا تشفع ، ولا تملك لنفسها ـ فضلاً عن أن تملك لغيرها ـ ضراً ولا نفعاً . فلا تستحق العبادة وإنما تكون العبادة لله وحده .

٤ - أن القرآن الكريم هو الكتاب المصدق لما سبق والمهيمن عليه ، وأنه أصدق كتاب على وجه الأرض ، وقد حكم هذا الكتاب بالكفر والفسق على النصارى ، لأنهم تركوا ما أنزل الله على رسوله عيسى عليه السلام ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠ ﴾(١٨٤) .

٥ - أن كل ما ادعاه النصارى باطل لا أصل له ، وإنما هو محض افتراء وكذب ، وأن عقيدة التثليث عند النصارى لا يمكن ان يقبلها عقل سليم ، أو منطق مستقيم ، بل هي منافية للعقل والمنطق ، وللفطرة السليمة كذلك ، وقد بينا بما لا يدع مجالاً للشك افتراءات هؤلاء والرد عليها بما يبطلها .

٦ - أن قضية قتل المسيح وصلبه ثم عملية الفداء وتخليص البشرية مما لحقها من خطيئة آدم عليه السلام والتي أصبحت عقيدة عند المسيحيين وركيزة من ركائز دينهم لا أساس لها من الصحة ، بل هي قائمة على الظن ، وقد أخبر القرآن الكريم بما لا يدع مجالاً للشك أن اليهود لم يقتلوه ، ولم يصلبوه ، ولكن شبه لهم ، وقد أنكرها كثير من المسيحيين الموحدين كما أنها لا تتفق مع ما اعتقدوه من ألوهية المسيح عليه السلام ، كيف يكون إلهاً ويقع عليه القتل والصلب على زعمهم؟

٧ - لقد كانت عقيدة المسيح توصيلاً نقياً ، ثم بدأ يتسرب إليها من العقائد المختلفة وخاصة العقائد الوثنية ما صبغها بالتثليث ، فأصبحت المسيحية التقليدية الشائعة هي مسيحية الثالوث .

إن الثلاثة أقاتيم تتطلب ثلاثة جواهر ، وبالتالي ثلاثة آلهة ، وأن الأسفار لم تعط أي مستند للاعتقاد في التثليث ، وأن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة ، وعلى هذا فإن عقيدة التثليث تفقد أي قيمة دينية أو علمية .

وأخيراً ، فإني أوصي بما يأتي :

١ - على العالم أجمع أن يعلم أن الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (١٨٥) ، أي الدين المعتبر والمقبول عند الله هو الإسلام ، وهو دعوة جميع الأنبياء ، وعلى المسلمين بصفة خاصة إن أرادوا لأنفسهم العزة والكرامة والنصر والغلبة أن يتمسكوا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا كما قال تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(١٨٦) .

٢ - على المسلمين أن يدركوا ما يحاك لهم من دسائس ومؤامرات بقصد النيل منهم ، وتفريق صفوفهم ، وتمزيق وحدتهم ، وخاصة في هذه الأيام ، بعد أن سقطت الشيوعية إلى غير رجعة ، وأصبح الإسلام مستهدفاً من جميع دول الكفر ، لأنهم يرون في انتشاره خطراً عليهم وعلى معتقداتهم الباطلة التي لا تثبت أمام مبادىء الإسلام ووضوح تعاليمه ، وما يلاقيه المسلمون الآن في جمهورية البوسنة والهرسك ببعيد عنا - إن ما يقع على المسلمين في تلك البلاد هو جريمة بكل المقاييس ، كما أنه وصمة عار في جبين الإنسانية ، وفي وجه النظام العالمي الجديد ، الذي لا يعبأ بما يقع ما دام الأمر يخص المسلمين ، ولو أن بعض هذه الجرائم وقعت على غير المسلمين لقامت الدنيا كلها ولم تقعد ، فعلى المسلمين أن يدركوا ذلك جيداً ، وأن يعودوا إلى دينهم ، ويوحدوا كلمتهم .

٣ - علينا أن نعتبر بما حدث للأمم السابقة فقد استوجبوا اللعن لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستحقت أمة محمد ﷺ الوصف بالخيرية ، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ويوم أن تتخلى الأمة الإسلامية عن القيام بهذا الواجب فإنها لا تستحق هذا الوصف ، فعلينا أن ننتبه إلى ذلك ، وأن ندرك سنة الله في الخلق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾(١٨٧) .

٤ - كلمة أخيرة أوجهها إلى المسيحيين : ارفعوا أيديكم عن المسلمين ، إنكم تعلمون أكثر من غيركم ما آلت إليه المسيحية عقيدة وأخلاقاً ، بل ومظهراً ، فلم يبق منها إلا الاسم ، فالأولى بمن تصدع بيته أن يقيم بناءه أولاً ، ويصلح ما فسد منه قبل أن يخرج إلى العالم يدعوه - كما تزعمون - إلى الخلاص والإيمان ، أولى بكم أن

تتفقوا على عقيدة مسيحية واحدة ، تقوم على الإيمان بالإله الواحد الأحد الذي دعا إليه موسى وعيسى ورسل الله أجمعين ، واعلموا يقيناً أن ما تنفقونه من أموال من أجل التنصير وإخراج المسلمين من نور التوحيد إلى متاهات التعدد والشرك لن يعود عليكم إلا بالحسرة والندم ، أنتم وأمثالكم ، كما أخبر القرآن الكريم بذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٣٧) ﴾(١٨٨) .

٥ - إن موقف المسيحيين من المسلمين ودعوتهم إلى المسيحية ليذكرنا بموقف الملأ من قوم فرعون ، وذلك المؤمن الذي كان يكتم إيمانه ، فقد أخرسهم بحجته القوية قائلاً ﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ (٤٢) ﴾(١٨٩) .

فقد دعاهم القرآن إلى كلمة عدل وإنصاف ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته ، ولم يستجيبوا لندائه ، واستحبوا العمى على الهدي ، فحق عليهم العذاب .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾(١٩٠) .

وأخيراً : أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما جهلنا ، وأن يغفر لنا ما وقع منا من خطأ أو نسيان ، إنه هو الغفور الرحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

(٣٠) سورة المائدة : آية ١١٦ ، ١١٨ .
(٣١) سورة البقرة : آية ١٣٣ .
(٣٢) سورة الرعد : آية ٣٦ .
(٣٣) سورة الأنعام : آية ١٦٣ .
(٣٤) سورة النساء : آية ١١٦ .
(٣٥) سورة الحج : آية ٢٦ .
(٣٦) سورة آل عمران : آية ٦٧ .
(٣٧) سورة آل عمران : آية ٢ ـ ٤ .
(٣٨) سورة الأنعام : آية ٩١ .
(٣٩) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٤٠) سورة المائدة : آية ٤٦ ، ٤٧ .
(٤١) سورة المائدة : ٦٦ .
(٤٢) سورة المائدة : ٦٨ .
(٤٣) سورة آل عمران : ٦٤ .
(٤٤) سورة التوبة : آية ٣١ .
(٥٤) سورة النحل : آية ٣٦ ، ٣٧ .
(٤٦) سورة يونس : آية ٣ .
(٤٧) سورة يونس : آية ٤ . ،
(٤٨) سورة الذاريات : آية ٥٦ ـ ٥٨ .
(٤٩) سورة المؤمنون : آية ١١٥ ـ ١١٧ .
(٥٠) سورة القيامة : آية ٣٦ ـ ٤٠ .
(٥١) سورة الأنعام : آية ١ ـ ٣ .
(٥٢) سورة العنكبوت : آية ١٩ ـ ٢٢ .
(٥٣) سورة الحجر : آية ٢٦ ، ٢٧ .
(٥٤) سورة الزمر : آية ٦ .
(٥٥) سورة النساء : آية ١ .
(٥٦) سورة آل عمران : آية ٥٩ ، ٦٠ .
(٥٧) سورة الأنبياء : آية ٩١ .
(٥٨) سورة مريم : آية ٢٠ ، ٢١ .
(٥٩) سورة التحريم : آية ١٢ .
(٦٠) سورة مريم : آية ٣٤ ، ٣٦ .

(٦١) سورة مريم : آية ٣٧ ـ ٥١ .
(٦٢) ابن كثير : ج ٣ ص ١١٨ .
(٦٣) سورة هود : آية ١٠٢ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير : ٦٥ ، وانظر اللؤلؤ والمرجان : رقم ١١٦٨ .
(٦٤) سورة الأعراف : آية ١٠ ـ ١١ .
(٦٥) سورة الإنسان : آية ١ ـ ٣ .
(٦٦) سورة الحج : آية ١٨ .
(٦٧) سورة الرعد : آية ١٥ .
(٦٨) سورة الرعد : آية ١٦ .
(٦٩) سورة الحج : آية ٧٣ ، ٧٤ .
(٧٠) انظر تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٤٣٤ .
(٧١) سورة الملك : آية ١ ـ ٤ .
(٧٢) سورة الأعراف : آية ٥٤ .
(٧٣) سورة البقرة : آية ٢٥٨ . وانظر تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٩٦ .
(٧٤) سورة البقرة : آية ٢١ .
(٧٥) سورة فاطر : ٤٠ .
(٧٦) سورة المائدة : ١٧ .
(٧٧) سورة المائدة : ٧٢ ـ ٧٥ .
(٧٨) سورة آل عمران : ٩٤ .
(٧٩) سورة البقرة : آية ٨٧ .
(٨٠) انظر تفسير المنار : ج ١ ص ٣١٢ .
(٨١) سورة البقرة : آية ٨٩ .
(٨٢) سورة البقرة : آية ٨٩ .
(٨٣) سورة البقرة : آية ١٤٦ .
(٨٤) انظر تفسير ابن كثير : ج ١ ص ١٨٤ ، وتفسير المنار : ج ٢ ص ١٧ .
(٨٥) سورة النساء : آية ٤٠ .
(٨٦) سورة البقرة : آية ٦٢ .
(٨٧) سورة النساء : آية ١٢٣ ـ ١٢٥ .
(٨٨) تفسير المنار : ج ١ ص ٢٧٩ . وانظر تفسير ابن كثير في سورة النساء : الآية : ١٢٣ .
(٨٩) سورة البقرة : آية ١٣٥ ـ ١٣٧ .
(٩٠) سورة البقرة : آية ١٣٦ .

(٩١) سورة البقرة :آية ٢٨٥ .
(٩٢) سورة البقرة :آية ١٣٧ .
(٩٣) سورة المائدة :آية ١٤ .
(٩٤) سورة البقرة :آية ١٣٠ـ ١٣١ .
(٩٥) سورة النساء :آية ٤٧ـ ٤٨ .
(٩٦) سورة آل عمران :آية ١١٠ .
(٩٧) سورة المائدة :آية ٤١ .
(٩٨) سورة المائدة :آية ٤٣ .
(٩٩) سورة المائدة :آية ٤٤ .
(١٠٠) سورة البقرة :آية ٧٥ .
(١٠١) سورة البقرة :آية ٧٩ .
(١٠٢) انظر تفسير المنار :ج ١ ص ٢٩ .
(١٠٣) سورة الأنعام :آية ٩١ .
(١٠٤) سورة البقرة :آية ١٢٠ .
(١٠٥) سورة البقرة :آية ٢١١ .
(١٠٦) طالع إظهار الحق لرحمة الله الهندي : ص ١٣٤ ، ١٣٥ مع الاختصار والتصرف .
(١٠٧) سورة التوبة : ٣٠ـ ٣٢ .
(١٠٨) سورة يوسف :١٠٨ .
(١٠٩) سورة المائدة : ٣٠ـ ٣٢ .
(١١٠) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، لابن القيم : ص ١٦٤ وما بعدها .
(١١١) سورة المائدة :آية ٧٢ .
(١١٢) سورة المائدة :آية ٧٧ .
(١١٣) سورة النساء :آية ١٧١ ، ١٧٢ .
(١١٤) انظر أسباب النزول للواحدي : ص :١٠٦ ، ١٠٧ .
(١١٥) سورة التحريم :آية ١٢ .
(١١٦) سورة المائدة :آية :١١٦ .
(١١٧) انظر تفسير الفخر الرازي :م ٣ ص ٣٤٨ .
(١١٨) سورة المائدة :آية ١٧ .
(١١٩) سورة المائدة :آية ٧٥ .
(١٢٠) سورة مريم :آية من ٨٨ـ ٩٥ .
(١٢١) صحيح الجامع الصغير :ج ٥ ص ٣٤ ، وانظر تفسير ابن كثير :ج ٣ ص ١٣٥ .

(١٢٢) اللؤلؤ والمرجان ٥٥ البخاري ٥٢ ـ كتاب الشهادات .

(١٢٣) البخاري : ٦٥ كتاب التفسير .

(١٢٤) البخاري : ٢٣ كتاب الجنائز .

(١٢٥) مسلم : كتاب الإيمان رقم ٢٣ .

(١٢٦) سورة النساء : آية ١٥٠ ـ ١٥١ .

(١٢٧) سورة المائدة : آية ٧٣ ـ ٧٤ .

(١٢٨) سورة النساء : آية ١٨ .

(١٢٩) سورة آل عمران : آية ٦٠ .

(١٣٠) انظر الفخر الرازي : م ٢ ص ٤٦٥ .

(١٣١) سورة آل عمران : آية ٦١ ـ ٦٢ .

(١٣٢) سورة آل عمران : آية ٧١ .

(١٣٣) سورة آل عمران : آية ٦١ .

(١٣٤) الفخر الرازي ملخصاً م ٢ ص ٤٦٤ ، وقد ذكر هذه المناظرة بتمامها صاحب كتاب إظهار الحق رحمة الله الهندي : م ٣ ص ٧٦٨ وما بعدها .

(١٣٥) سورة المائدة : آية ١١٠ .

(١٣٦) سورة البقرة : آية ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(١٣٧) سورة آل عمران : آية ٦٥ ـ ٦٧ .

(١٣٨) سورة آل عمران : آية ٦٨ .

(١٣٩) سورة البقرة : آية ١٣٥ .

(١٤٠) انظر أسباب النزول للواحدي : ص ٢٢ باختصار ، ولباب النقول للسيوطي : ص ٢٦ .

(١٤١) وكان يومئذ مبعوثاً لقريش في طلب المسلمين من الحبشة وذلك قبل إسلامه

(١٤٢) تهذيب سيرة ابن هشام عبدالسلام هارون ، بتصرف : ص ٩٧ ، ٩٨ .

(١٤٣) سورة المائدة : آية ٨٣ وما بعدها .

(١٤٤) سورة فاطر : آية ٤٠ .

(١٤٥) سورة آل عمران : آية ٥٠ ـ ٥١ .

(١٤٦) سورة مريم : آية ٣٠ ـ ٣٦ .

(١٤٧) سورة النحل : آية ٥١ ، ٥٢ .

(١٤٨) يوحنا : ٨/ ٤ .

(١٤٩) انظر في هذا مناظرة بين الإسلام والنصرانية : ص ١٩٣ .

(١٥٠) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(١٥١) سورة الكهف : آية ١٠٧ .

(١٥٢) سورة النحل :آية ٩٧ .
(١٥٣) سورة النساء :آية ١٢٣ـ ١٢٥ .
(١٥٤) سورة البقرة :آية ١١٣ .
(١٥٥) سورة آل عمران :آية ٩٨ـ ٨٩٩
(١٥٦) سورة النساء : ١٥٧ـ ١٥٩ .
(١٥٧) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية : ص ١٠٤ .
(١٥٨) الإسلام والأديان د/ مصطفى حلمي ، نقلاً عن صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، محمد ﷺ في الكتاب المقدس ، عبدالأحد داود ، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن .
(١٥٩) الأجوبة الفاخرة للقرافي : ص ١٦١ على لسان قسيسهم حفص .
(١٦٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ص ١٨١ .
(١٦١) محاضرات في النصرانية : ص ١٢٩ .
(١٦٢) بنو إسرائيل في القرآن الكريم د/ محمد عبدالسلام ، نقلاً عن تفسير المنار : ٦/ ٣٣ .
(١٦٣) بنو إسرائيل في القرآن الكريم د/ محمد عبدالسلام : ص ١٥٨ .
(١٦٤) سورة آل عمران :آية ٥٥ـ ٥٧ .
(١٦٥) سورة آل عمران :آية ١٩٩ .
(١٦٦) سورة النجم :آية ٣٦ـ ٤١ .
(١٦٧) سورة المدثر :آية ٣٨ـ ٣٩ .
(١٦٨) سورة طه :آية ١١٥ .
(١٦٩) سورة البقرة :آية ٣٧ .
(١٧٠) سورة طه :آية ١٢٢ .
(١٧١) تثنية اصحاح : ٢٤ .
(١٧٢) تثنية : ص ٢١ـ ٢٢ .
(١٧٣) بنو إسرائيل في القرآن ، د/ محمد عبدالسلام : ص ٢٥٧ .
(١٧٤) بنو إسرائيل في القرآن الكريم ، د/ محمد عبدالسلام : ص ٢٥٧ .
(١٧٥) سورة البقرة :آية ٣٧ .
(١٧٦) سورة الأعراف :آية ٢٣ .
(١٧٧) مناظرة بين الإسلام والمسيحية : ص ١٢٤ .
(١٧٨) المصدر السابق : ص ١٦٣ .
(١٧٩) سورة البقرة :آية ٢٥٥ .
(١٨٠) سورة المؤمنون :آية ٩١ـ ٩٢ .

(١٨١) سورة الأنعام : آية ٩١ .
(١٨٢) سورة المائدة : آية ٧٧ .
(١٨٣) سورة المائدة : آية ٧٧ .
(١٨٤) سورة المائدة : آية ٤٧ .
(١٨٥) سورة آل عمران : آية ١١٠ .
(١٨٦) سورة آل عمران : آية ١٩ .
(١٨٧) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .
(١٨٨) سورة الرعد : آية ١١ .
(١٨٩) سورة الأنفال : آية ٣٦ ـ ٣٧ .
(١٩٠) سورة غافر : آية ٤١ ـ ٤٢ .
(١٩١) سورة آل عمران : آية ٦٤ .

* * *

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير) ـ دار الحديث ـ القاهرة .

٣ ـ تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة .

٤ ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥ ـ تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) عن طبعة العامرة الشرقية ـ بيروت .

٦ ـ فتح القدير ـ للإمام الشوكاني الجامع بين فني الرواية والدراية ـ دار المعرفة ـ بيروت .

٧ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة .

٨ ـ إظهار الحق رحمة الله الهندي ـ دار الحديث ـ القاهرة .

٩ ـ أسباب النزول للواحدي ـ طبعة الحلبي بمصر .

١٠ ـ لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي ـ الدار التونسية للنشر .

١١ ـ الوحي المحمدي ـ محمد رشيد رضا ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .

١٢ ـ صحيح البخاري ـ مطابع الشعب ـ القاهرة .

١٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ الكتب العربية .

١٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ جمع محمد فؤاد عبدالباقي ـ وزارة الأوقاف ـ الكويت .

١٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ ابن تيمية .

١٦ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ـ ابن القيم ـ مكتبة المعارف ـ الرياض .

١٧ ـ مفتاح دار السعادة ـ ابن القيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ـ المطبعة الأدبية .

١٩ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ـ المكتبة المصرية .

٢٠ ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للإمام الجويني ـ الكليات الأزهرية .

٢١ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام ـ د/ علي عبدالواحد وافي ـ مكتبة نهضة مصر . ،

٢٢ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر ـ بيروت ١٣٣٠ هـ .

٢٣ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل عبدالكريم الخطيب .

٢٤ ـ المسيح في المصادر المسيحية ـ أحمد الوهاب .

٢٥ ـ الإسلام والأديان ـ دراسة مقارنة ـ د/ مصطفى حلمي ـ دار الدعوة .

٢٦ ـ الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان ـ نجم الدين البغدادي ـ مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٧ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ العقاد ـ دار نهضة مصر .

٢٨ ـ تهذيب سيرة ابن هشام ـ عبدالسلام هارون ـ دار سعد للطباعة والنشر مصر .

٢٩ ـ تفسير العهد الجديد ـ وليم باركلي .

٣٠ ـ حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ـ العقاد .

٣١ ـ المسيحية ـ د/ أحمد شلبي .

٣٢ ـ المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارل جنيبير .

٣٣ ـ محاضرات في النصرانية ـ محمد أبو زهرة .

٣٤ ـ العهد القديم ـ جمعية الكتاب المقدس ـ القاهرة .

٣٥ ـ العهد الجديد ـ جمعية الكتاب المقدس ـ القاهرة .

٣٦ ـ إنجيل برنا ـ ترجمة د/ خليل سعادة ـ محمد صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر ـ مصر .

٣٧ ـ الأناجيل الأربعة ـ المعروفة عندهم .

٣٨ ـ قصص الأنبياء ـ عبدالوهاب النجار ـ العالمية للتوزيع .

٣٩ ـ قصص القرآن ـ محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ التجارية بمصر .

٤٠ ـ مطلع النور أو طوالع البثعة المحمدية ـ العقاد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت .

٤١ ـ مناظرة بين الإسلام والنصرانية ـ دار الحديث ـ القاهرة .

٤٢ ـ بنو إسرائيل في القرآن ـ د محمد عبدالسلام ـ دار الفكر الإسلامي ـ القاهرة .

* * *

الهوامش

(١) سورة المائدة : آية ١٩ .
(٢) سورة النساء : آية ١٦٥ .
(٣) سورة المائدة : آية ١٤ .
(٤) سورة الرعد : آية ٤٣ .
(٥) سورة الأنعام : آية ١٠٠ ـ ١٠٢ .
(٦) سورة الإسراء : آية ١٠٥ .
(٧) سورة المائدة : آية ٤٨ .
(٨) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .
(٩) سورة يونس : آية ٤ .
(١٠) سورة الذاريات : آية ٥٦ ـ ٥٨ .
(١١) سورة الأنبياء : آية ٩٢ .
(١٢) انظر تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ١٨٩ ، وصفوة البيان : ص ٤٢١
(١٣) البخاري : ٦ كتاب الأنبياء اللؤلؤ والمرجان : ١٥٢٦ .
(١٤) سورة المائدة : آية ٤٨ .
(١٥) سورة الشورى : آية ١٣ .
(١٦) سورة الأحزاب : آية ٧١ .
(١٧) سورة آل عمران : آية ٨١ ـ ٨٢ .
(١٨) سورة الأعراف : آية ٩٥ .
(١٩) سورة هود : آية ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢٠) سورة هود : آية ٥٠ .
(٢١) سورة هود : آية ٦١ .
(٢٢) سورة هود : آية ٨٤ .
(٢٣) سورة الأنبياء : آية ٥٦ ، ٥٧ .
(٢٤) سورة الأنبياء : آية ٦٦ ، ٦٧ .
(٢٥) سورة العنكبوت : آية ١٦ .
(٢٦) سورة الأنبياء : آية ٨٧ ، ٨٨ .
(٢٧) سورة الصافات : آية ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٢٨) سورة طه : آية ٤٩ ـ ٥٢ .
(٢٩) سورة المائدة : آية ٧٢ .